

### تجليات المنهج البنيوي:

يمكن العودة ببدايات التعريف بالبنيوية في الثقافة العربية المعاصرة إلى أواسط الستينيات، ومن أوائل ما كُتب في هذا السياق مقالات نشرها محمود أمين العالم حول هذا الاتجاه في مجلة (المصوّر) المصرية (عام 1966) مُطلقاً عليها اسم (الهيكلية)<sup>1</sup>.

غير أنّ الدراسة الأدبية في هذا الاتجاه لم تتضح ولم يبرز الاهتمام بها إلا في أواخر السبعينيات حين نُشرت دراسات لعدد من النقاد في المشرق والمغرب العربي تتبنى الاتجاهين الرئيسيين في البنيوية: الشكلائي والتكويني.

الاتجاه الأضعف بين هذين الاتجاهين، هو البنيوية الشكلائية التي لم تجد الكثير من التمثيل النقدي أو البحثي المميز إذا استثنينا بعض الدراسات التقديمية والشارحة المبنوثة هنا وهناك، وبعض التطبيقات المتفرقة، فهي على نقيض وصيغتها التكوينية فقد وجدت الكثير من الاهتمام العربي المبكر نسبياً، لا سيما في المغرب، مع تطبيقات نقدية جادة كثيرة.

غير أنّ مشكلات كثيرة أيضاً قد اعتورت هذا التمثيل للبنيوية بجانبه، سواء كان ذلك على مستوى " غياب الصرامة المنهجية في أحسن الحالات، أو الخلط في المفاهيم والمناهج نفسها، مع ضعف الوعي بالمهاد الفلسفي والأيدلوجي لتلك المناهج، في أسوأها"<sup>2</sup>.

وربما كان كتاب الناقد التونسي حسين الواد (البنية القصصية في رسالة الغفران) هو أول الحصاد النقدي البنيوي، وهو- أصلاً- بحث أُعد لنيل شهادة الكفاءة في البحث، ونوقش في جوان 1972، وتكتسي هذه الدراسة أهمية منهجية وتاريخية كبيرة؛ حيث "تُعتبر الأولى من نوعها من حيث الطول والأهمية، زيادة على أنها ستكون نقطة انطلاق لعدة دراسات جامعية مطوّلة..."<sup>3</sup>، وقد تلت هذه المحاولة الرائدة جهود أخرى تشاطرها المنطلق المنهجي البنيوي على اختلاف آلياته واتجاهاته.

ولقد تعددت في تونس العروض للنظرية البنيوية في النقد في مرحلة جد مبكرة، فيطلع علينا رشيد الغزي ببحث مطوّل في (مسألة القصة من خلال النظريات الحديثة)، فتعرض إلى تحليل الشكلانيين الروس للقصة، وكذلك البنيويين وخاصة أصحاب النزعة (الإنشائية) ومنهم تدوروف Todorov، " ولقد سعى صاحب المقال إلى تبسيط النظريات من خلال أمثلة مستمدة من الأدب

<sup>1</sup> - الرويلي ميجان و البازعي سعد، دليل الناقد الأدبي، ص: 386.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص: 387.

<sup>3</sup> - وغليسي يوسف، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص: 118.

الفصل الأول \_\_\_\_\_ تجليات المناهج الغربية في النقد المغاربي المعاصر

التونسي (حدّث أبو هريرة قال) أو (قصص الدوعاجي)، وقد أضاف الباحث إلى عمله قائمة هامة في المصطلحات البنيوية بالعربية والفرنسية، مرتبة حسب الحروف الأبجدية الفرنسية<sup>1</sup>.

وتواصل إثراء المكتبة النقدية بترجمة نصوص كبار النقاد الغربيين، فهذه مجلة (الثقافة الجديدة المغربية) تخصّص عددا كاملا سنة 1978 لمشاغل النقد المغاربة خاصة والعرب عامة، " فينقل محمد البكري نصا لرولان بارت R. Barthes مأخوذا من كتاب (الكتابة في درجة الصفر)، وتجاوبه المترجم أيضا مشكلة المصطلحات، فيقيم ثبثا صغيرا لبعضها<sup>2</sup>.

وينقل محمد البكري في العدد نفسه من المجلة لجاك دريدا J. Derrida نصا بعنوان (البنية، الدليل، اللعبة في حديث العلوم الإنسانية)، ويقيم بعض الهوامش التي تخص ترجمة لبعض المفاهيم والمصطلحات.

وقد نوّعت مجلة الثقافة الجديدة في عددها هذا مختلف الترجمات عن مختلف الاتجاهات البنيوية، " فترجم مصطفى المسناوي نصا للوسيان غولدمان L. Goldman مأخوذا من كتاب (الماركسية والعلوم الإنسانية) الصادر عام 1970، وعنون المترجم هذا النص بـ (علم الاجتماع الأدب: نظامه الأساسي ومشاكله المنهجية)، مضيفا إليه بعض الهوامش لتقريب النص إلى الذهن العربي، كما أثبت المترجم معجما صغيرا لبعض المصطلحات<sup>3</sup>.

واهتمت مجلة (الأقلام) المغربية سنة 1979 في عددها العاشر بترجمة لنص الشكلايين الروس، وعنونت هذه الترجمة بـ (نظرية المنهج الشكلي).

وهكذا أخذت الترجمات العربية للبنيوية تتدفق، والكتابات النظرية حولها تزداد، نذكر على سبيل التمثيل:

- أدولفو باسكيز، البنيوية والتاريخ، ترجمة: المسناوي مصطفى، دار الحداثة، بيروت، 1981.
- برادة محمد وآخرون، ترجمة: البنيوية التكوينية والنقد، مؤسسة البحوث العربية، بيروت، 1984.
- مهيل عمر، البنيوية في الفكر - عرض عام لأفكار البنيويين - الجزائر، 1991.
- بغورة الزواوي، المنهج البنيوي - بحث في الأصول والمبادئ والتطبيقات - الجزائر، 2000.
- بنيس محمد، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب - مقارنة بنيوية تكوينية - دار العودة، بيروت، 1979.

<sup>1</sup> - بعلي حفناوي، فضاءات المقارنة الجديدة الحداثة.. العولمة.. جماليات التلقي، دار الغرب للنشر والتوزيع، (د ط)، 2004، ص: 281.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص: 283.

<sup>3</sup> - نفسه، ص: 283.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ تجليات المناهج الغربية في النقد المغاربي المعاصر

### أ- البنيوية الشكلانية:

#### 1- معالم التيار البنيوي الشكلاني عند عبد الملك مرتاض وحسين الواد:

حدّد عبد الملك مرتاض المجال العام الذي يدور في فلكه النقد البنيوي بقوله: " فالمدار في المنظور الحديث على الدراسة العمودية للمنهج، لا على الجمع، وعلى الملاحظة الدقيقة لا على الشرح التعليمي الأفقي للمنهج..."<sup>1</sup>.

وتقوم الدراسة العمودية بتناول الإبداع الأدبي من عدة مناح " ولا سيما من حيث بنيته الإفرادية والتركيبية، ثم من حيث الزمان فيه وكيفية تعامل الكاتب معه، ثم من حيث الحيز ورسم الصور الفنية من خلال وضع هذه البنى، ثم أخيرا من حيث مستواه الصوتي"<sup>2</sup>.

وكما هو واضح فإنّ أثر علم اللغة الحديث بمستوياته الأربعة (المستوى الصوتي، المستوى الصرفي، المستوى النحوي، المستوى الدلالي) واضح على مقومات هذا التيار، بل إنّ " الطابع العام الذي تميّزه هذا التيار يقوم على كونه نقدا لغويا ينطلق من اللغة ولا يبرحها إلا ليعود إليها"<sup>3</sup>.

وهكذا فإن الدراسة العمودية التي يقوم عليها هذا التيار في تناوله للإبداعات الأدبية قد فرضت عليه العناية بالرؤية النصية المجردة من الشوائب التي قد تعترض سبيل الناقد عند توجهه إلى الإبداع الأدبي قصد تحليله، وهذا باعتبار الإبداع نصا لغويا مستقلا عما يُحيط به، وقد شرح حسين الواد بقوله: " ولعملي هذا حدود هي حدود المنهجية التي ألّزمت بها، عندما رأيت أن أقصر على الجانب الشكلي، والشكلي فقط كمرحلة أولى في تناول الإبداع الأدبي"<sup>4</sup>.

وقد برّر أصحاب هذا التيار اقتصرهم على دراسة الجانب الهيكلي في الإبداع الأدبي بما نادى البنيويون الشكلانيون عامة من أنّ " الشكل هو الذي يسمح لأجزاء الإبداع الأدبي أن تدخل في علاقات غير اتفاقية، وأنّ المعنى أو المضمون رهين التركيب الواعي للأجزاء التي تكوّن النص"<sup>5</sup>.

وهكذا فإنّ ارتباط هذا التيار بالدراسات اللغوية جعل مهمة أصحابه لا تنفك عن تفتيت الإبداعات الأدبية وتشريحها من أجل فهمها، وإن كانت هذه العملية ليست غاية في حد ذاتها وإنما هي مجرد "مرحلة أولية تتبعها مرحلة أخرى تقوم بإعادة تجبير الإبداع الأدبي، ولكن بطريقة مغايرة،

<sup>1</sup> - عكاشة شايف، نظرية الأدب في النقد الجمالي والبنيوي في الوطن العربي- نظرية الخلق اللغوي- ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د ط)، ج3، ص:101.

<sup>2</sup> - مرتاض عبد الملك، النص الأدبي: من أين؟ وإلى أين؟ - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر، (د ط)، 1983، ص:4.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ج3، ص:101.

<sup>4</sup> - نفسه، ج3، ص:102.

<sup>5</sup> - الواد حسين، البنية القصصية في رسالة الغفران، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، (د ط)، 1975، ص:13.

الفصل الأول \_\_\_\_\_ تجليات المناهج الغربية في النقد المغاربي المعاصر  
بحيث يكون النتاج الجديد أي العمل النقدي عبارة عن الثمار التي كان يخفيها الإبداع الأدبي في جوفه<sup>1</sup>.

ولعل هذا هو ما قصده حسين الواد حين يبين كيف أن الناقد يتناول الإبداع الأدبي بالتفكيك "ثم يضم أجزائه بعضها إلى بعض هادفاً بذلك إلى إنتاج نص جديد"<sup>2</sup>.

غير أن الطريقة التي سلكها النقاد في عمليتي التشريح والتركيب ليست بالبساطة التي يمكن لأي ناقد أن يقوم بها، وهذا ما تؤكد على -الخصوص- الحيرة التي تنتاب النقاد عندما يُقدِّمون على محاولتي التفكيك والتركيب النقديتين فهم لا يكفون عن مثل هذه التساؤلات:<sup>3</sup>

من أين يبدأ الناقد الإبداع الأدبي؟ ومن أين يأخذه للسيطرة على ما فيه من كوامن وخفايا؟ وما هي الظواهر التي يدرسها فيها؟ وكيف يستكشف هذه الظواهر ويهتدي إليها حتى يدرسها؟ وهل يسلك لذلك سبيلاً واحدة في كل الإبداعات الأدبية على اختلافها أو أنّ كل إبداع أدبي يفرض عليه منهجه؟.

ونتيجة لهذه الصعوبة في تحديد المنهج لم يكن أمام هؤلاء النقاد عند مواجهتهم للإبداع الأدبي سوى "محاولة البدء أو فرض (اللامنهج) في تعاملهم مع الإبداعات الأدبية"<sup>4</sup>.

على أنّ الدخول اللامنهجي إلى عالم الإبداع الأدبي لكي يظل في دائرة النقد البنيوي ينبغي أن يتمسك صاحبه بقانون المحايدة الموضوعية ويتسلح بالثقافة النقدية الواسعة، علماً بأنّ "من السذاجة الساذجة أن يزعم زاعم من الدارسين - مهما تعمّقت تجربته، واستطالت في الزمان خبرته - أنه قادر على وضع قواعد تضبط دراسة الإبداعات الأدبية، فمثل ذلك عسير جداً إن لم يكن مستحيلاً"<sup>5</sup>، ومن ثم تبقى أعماله مجرد محاولات أولية أو مقاربات نقدية في مجال الدراسة الأدبية.

## 2- عبد الفتاح كيليطو والأدب والغربة:

أصدر الناقد عبد الفتاح كيليطو كتاب (الأدب والغربة: دراسات بنيوية في الأدب العربي) عام 1982، وجعله في قسمين: "شرح في القسم الأول بعض المفاهيم العامة من مثل: النص، الأدب، النوع، السرد، تاريخ الأدب، أمّا القسم الثاني فيهتم بتحليل بعض المؤلّفات الكلاسيكية: أسرار البلاغة، مقامات الحريري، مقامات الزمخشري، مُلحة الإعراب، حكاية السندباد"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ج 3، ص: 103.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص: 13.

<sup>3</sup> - المرجع السابق، ص: 40.

<sup>4</sup> - نفسه، ص: 54.

<sup>5</sup> - نفسه، ص: 49.

<sup>6</sup> - كيليطو عبد الفتاح، الأدب والغربة: دراسات بنيوية في الأدب العربي، دار توبقال للنشر، ط 4، 2007، ص: 11.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ تجليات المناهج الغربية في النقد المغربي المعاصر

ويرى كيليطو بأن القسم الثاني لا يطبق العموميات الواردة في القسم الأول، " فكل دراسة مستقلة بذاتها، وليست بحاجة إلى أن تستند إلى جاراتها، ومع ذلك يبدو لي أن مفهوم الغرابة يجمع هذا الشّتات"<sup>1</sup>.

### 3- صدوق نور الدين وحدود النص الأدبي:

وأما الناقد صدّوق نور الدين فقد أصدر كتابه (حدود النص الأدبي: دراسة في التنظير والإبداع) عام 1984، قال فيه: "إن اختلاف المناهج أدى بنا إلى الوقوف على المنهج الاجتماعي، وهو منهج يربط النص بالمجتمع... في حين أن المنهج النفسي يهدف إلى الكشف عن الدافع النفسي للإبداع... أما المنهج البنيوي فيعتبر النص بنية مغلقة، وداخل هذه البنية ثمة علاقات منتظمة... وقد حاولت في هذه الخطة الاستفادة من المناهج السالفة، رغبة في تشكيل نوع من التوفيق الهادف خدمة النص، ودون الرسوبسفية النقد عند منهج بذاته"<sup>2</sup>.

وما يُلاحظ على الكتاب هو "اهتمامه بالأدب المغربي المعاصر وحده، إذ معظم الروايات والقصص التي عولجت كانت لأدباء مغاربة فحسب، كما يُلاحظ اهتمامه بالسرد، فقد عالج كمّاً أكبر من الروايات مقابل (مقاطع) من بعض القصائد، وهذه (المقاطع) لا تعطي صورة كاملة عن القصيدة ولا عن صاحبها، وعلى الرغم من أن الباحث طبّق فيها (المنهج البنيوي)، فإنه لم يخرج بوصف لـ (بنية) القصيدة ولا لـ (علاقات) وحداتها. ولم يتبع حتى المنهج (التوفيقي) الذي اقترحه"<sup>3</sup>.

### ب- البنيوية التكوينية:

حُظيت البنيوية التكوينية وما تزال تحظى بحضور واسع في النقد العربي المعاصر، وتكاد تكون أكثر المناهج انتشاراً لدى عدد كبير من النقاد المتميّزين في شرق الوطن وغربه. وحين نتساءل عن السبب في انتشار هذا الفرع من البنيوية وإقبال النقاد عليه على ما بينهم من تفاوت في القدرات والحماسة، فسنجد من بين الاحتمالات البارزة أن "البنيوية التكوينية منهج يجمع الشّيتين، التوجه الشكلاني والتوجه الماركسي على نحو يرضي الرغبة في الإخلاص للنواحي الشكلية في دراسة الأدب مع عدم التخلي عن القيم والالتزامات الواقعية، اليسارية غالباً التي لعبت دوراً رئيساً في تشكيل التجربة السياسية والثقافية والاجتماعية في الوطن العربي"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص: 11.

<sup>2</sup> - عزّام محمد، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحداثيّة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د ط)، 2003، ص: 63.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص: 64.

<sup>4</sup> - البازعي سعد، استقبال الآخر - الغرب في النقد العربي الحديث - المركز الثقافي العربي، المغرب، ط 1، 2004، ص: 204.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ تجليات المناهج الغربية في النقد المغربي المعاصر

فقد اتضح على مدى العقد والنصف الأخيرين من القرن الماضي أنّ المغرب العربي أكثر اهتماماً من غيره بالبنوية التكوينية لأسباب يعللها الناقد المغربي حميد لحمداني بالإشارة إلى العلاقة القريبة مع الثقافة الفرنسية، مضيفاً أنّ تلك العلاقات هي "ما يفسّر كيف أنّ هذا المنهج بالخصوص وجد تطبيقات متنوعة له في المغرب سواء في الشعر أم في النقد أم في الرواية"<sup>1</sup>.

غير أنّ هذا التعليل لا يبدو كافياً إذا تذكرنا أنّ بلدانا عربية أخرى كلبنان وسوريا، وبعض بلاد المغرب العربي الأخرى عرفت علاقة مع فرنسا لا تقل وثوقاً إن لم تزد، كما هو الحال في الجزائر، ومع ذلك لم تشهد انتشاراً واضحاً للبنوية التكوينية، فلا بد أنّ ثمة أسباباً أخرى تفسّر ذلك.

لكن الواضح بشكل كاف هو أنّ المغرب من بين دول المغرب العربي إجمالاً قد شهد إزدهاراً واضحاً للنقد الأدبي، كما للفكر الفلسفي، قد يفوق ما نجده في غيره من تلك المنطقة من الوطن العربي، "وكان الاهتمام بالبنوية التكوينية من الظواهر البارزة في ذلك الازدهار بغض النظر عن الأسباب الكامنة وراء ذلك. ومما يُميّز ذلك الاهتمام أنه لم يترافق مع ذلك القدر الكبير من الخطابية والأيدولوجية الذي رافق كثيراً من النماذج المشرقية"<sup>2</sup>.

وفي ضوء هذا الانتشار الواسع سنعرض بعض التجارب النقدية البارزة لنقاد المغرب العربي على سبيل التمثيل:

### 1- طاهر لبيب وسوسيولوجية الغزل العربي:

أصدر طاهر لبيب كتابه (سوسيولوجية الغزل العربي: الشعر العذري نموذجاً) باللغة الفرنسية عام 1972، ثم عرّبه حافظ الجمالي عام 1981 وفيه يرغب الباحث بأن "يطرح من المشكلات أكثر مما يحلّ، ويأخذ على الأدب العربي أنه يهتم تقليدياً بمظاهر ثانوية للإبداع، وأنه قد تجمّد في جملة من الأحكام الموروثة، ولهذا ظل في منأى عن المحاولات المنهجية الجديدة التي ما فتئت تتطور وتؤكد ذاتها في مجال العلوم الإنسانية"<sup>3</sup>.

وقد وضع الباحث كتابه هذا في سياقه الاجتماعي - التاريخي المعاصر له، دارساً علاقة (الانعكاس) التي ترى أنّ الاجتماعي يؤثر في الأدبي، للبحث في شعر العذريين الذي قيل إنهم من ذوي العقّة بتأثير الإسلام عليهم، ومعتمداً المنهج المستوحى من مجال (علم الاجتماع الأدبي)،

<sup>1</sup> - لحمداني حميد، النقد الروائي والأيدولوجيا - من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي - المركز الثقافي العربي، المغرب، (د ط)، 1990، ص: 114.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص: 206.

<sup>3</sup> - المرجع السابق، ص: 266.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ تجليات المناهج الغربية في النقد المغاربي المعاصر

ولاسيما "دراسات لوسيان غولدمان L. Goldman، ومستنداً إلى مبدأ بسيط جداً خلاصته أنه يجب ألا نسأل الشاعر (عن شعره)، بل نسأل شعره (عنه)، وبالتالي فإن موضوعه هو تحليل الأثر الأدبي من الداخل. وقد أفضى به هذا التحليل إلى ملاحظة (رؤية خاصة للعالم) عند جماعة العذريين، وكأنها نواة وعي أو شعور جمعي لمجموعة اجتماعية مشخصة كانت قد عاشت في شروط مادية خاصة"<sup>1</sup>.

وإنّ اعتماد الباحث على المصادر الفرنسية وحدها، لكونه يتقن هذه اللغة وإغفاله المصادر العربية القديمة التي جمعت أخبار وأشعار العذريين، والمصادر العربية الحديثة التي عالجت (ظاهرة الشعر العذري) من مثل ما كتبه "العقاد، وزكي مبارك، وشكري فيصل، وشوقي ضيف، وصادق جلال العظم وغيرهم عن هذه الظاهرة، جعل بحثه يعاني من نقص كبير، ولو أنه استفاد من المراجع العربية والحديثة لجاء بنتائج مختلفة، ولعدّل كثيراً من آرائه التي استوحاها من مراجعه الفرنسية فحسب، ومن غولدمان Goldman وحده"<sup>2</sup>.

وعلى الرغم من ذلك فإن هذا البحث يظل رائداً، لأنه تجرأ على معالجة موضوع معروف من زاوية نظر (البنوية التكوينية) التي كانت جديدة آنذاك (في مطلع السبعينات)، ولأنه وضع مقولات هذا المنهج النقدي موضع التطبيق في النقد العربي الجديد.

### 2- محمد بنيس وظاهرة الشعر المعاصر في المغرب:

يعرض محمد بنيس في مقدمة دراسته (ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب: مقارنة بنيوية تكوينية) الصادر عام 1979 منهجين رئيسيين: الأول هو المنهج البنيوي الذي عرّفه بإيجاز ووضح أنه يهتم بعنصر اللغة، ويركّز على القوانين والأنساق الداخلية للعمل الأدبي، ويستخلص بنيس من عرضه لهذا المنهج بأنّ "البنوية وفي أغلب اتجاهاتها تعامل النص كعالم ذري مغلق على نفسه وموجود بذاته، فتدخل تبعاً لهذا المفهوم في مغامرة الكشف عن لعبة الدلالات"<sup>3</sup>.

والمنهج الثاني هو المنهج البنيوي التوليدي، يحاول الناقد أن يجمع بين عناصر نقدية معينة تتجه كلها لتصب في المنهج البنيوي الذي جعله يعتمد من جهة على مجموعة من النظريات اللسانية، كما دفعه من جهة أخرى إلى "محاولة استيعاب أعمق روح المفكر البنيوي التوليدي لوسيان غولدمان L. Goldman، تظل - على حد تعبيره - ماثلة أمام كل خطواته النظرية"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - عزّام محمد، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة، ص: 267.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص: 274.

<sup>3</sup> - بعلي حفناوي، فضاءات المقارنة الجديدة.. العولمة.. جماليات التلقي، ص: 291.

<sup>4</sup> - بنيس محمد، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب - مقارنة بنيوية تكوينية - دار العودة، بيروت، (د ط)، ص: 27.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ تجليات المناهج الغربية في النقد المغاربي المعاصر

حدّد بنيس منهجه النقدي بقوله: "حاولت أن أرتبط بالقراءات التي تؤلّف بين داخل المتن وخارجه مستفيدا من البنيوية في الكشف عن قوانين البنيات الدالة، ومن المادية التاريخية الجدلية في تفسيرها لطبيعة هذه البنيات ووظيفتها الجمالية والاجتماعية عملا بنصيحة تروبتسكي في نقده للشكلانيين، ومعتمدا على البنيوية التكوينية"<sup>1</sup>.

يبقى أنّ أهم ما يستوقفنا في تحليل بنيس هو قدرته على تحديد هدف وظف تحليله له، فقد استطاع بالإفادة من البنيوية أن يعارض المناهج التقليدية وطرائق وصولها إلى النواة أو الرؤية، "تلك الطرائق التي غالبا ما اتسمت بإطلاق الأحكام، وإسقاط الآراء وتقرير الاستنتاجات تقريرا اعتباطيا، وهو في معارضته مَارَس أو حاول أن يمارس بديلا علميا معقّدا، أي تحليلا ممنهجيا لعناصر النص ولمستوياته منطلقا من النص كمادة لغوية"<sup>2</sup>.

إنّ دراسة بنيس تُعدّ رائدة في تطبيقات المنهج البنيوي وتظهره في النقد العربي، وهي في ريادتها تميّزت بفكر يصوغ منهجا جديدا لنقدنا، وقد تجلّى تميّز هذا الفكر في ممارسة النقد تحليلا غنيا يخوض مجالات -في وقتها- مازالت بكرة في هذا النوع من الدراسة العربية.

### 3- نجيب العوفي ودرجة الوعي في الكتابة:

في كتابه (درجة الوعي في الكتابة) الذي يمثّل معارضة نقدية لكتاب رولان بارت R . Barthes (درجة الصفر في الكتابة)، يوضّح العوفي منهجه بعد انتقاد البنيوية الشكلانية لعجزها عن (السيطرة على النص والواقع معا سيطرة فكرية تطل وتكتنه جوهر النص، وجوهر الواقع في آن باعتبار العلائق العضوية بين الطرفين)، في هذا يطرح تصوره على النحو التالي:

"وأرى أنّ تفاعلا بين المنهج البنيوي الشكلاني والمنهج الواقعي الجدلي في إطار نظرية نقدية ناظمة، وهي إمكانية واردة يذكها ويشجع عليها مشروع لوسيان غولدمان L. Goldman، أرى أنّ تفاعلا من هذا القبيل كفيل بأن يُحقّق ذلك المبتغى الصعب للممارسة النقدية كفيل بأن يُعزّز المنهج البنيوي وموقع المنهج الجدلي في آن"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص: 11.

<sup>2</sup> - بعلي حفناوي، فضاءات المقارنة الجديدة.. الحداثة.. العولمة.. جماليات التلقي، ص: 292.

<sup>3</sup> - البازعي سعد، استقبال الآخر، ص: 207.



## الفصل الأول \_\_\_\_\_ تجليات المناهج الغربية في النقد المغاربي المعاصر

يعلن العوفي عن تبنيه للمنهج الجدلي، مما يجعل اقتراحه هنا بالتوصل إلى مزيج من المنهجين البنيوي والجدلي نوعاً من المساعدة على التخلص من المنهج البنيوي الشكلي الذي لا يرى فيه أكثر من "تدريب ورياضات فكرية يراد منها اختبار القوى في أحسن الفروض واستعراض العضلات في أسوأ الفروض"<sup>1</sup>.

لكن العوفي نفسه لا يبدي تحمساً للسير في ذلك الطريق الذي عززه وشجع عليه مشروع غولدمان Goldman في هذا اللون من الطرح نجد محاولة من الناقد للاحتفاظ بمسافة بينه وبين المنهج تتيح الفرصة له للتحرك بما يوحي بالابتكار المنهجي الذي يشارك من خلال الناقد العربي في صياغة ذلك المنهج أو غيره.

فالعوفي لا يتبنى البنيوية التكوينية بشكل قاطع أو نهائي، "وإنما هو يسير في نفس الاتجاه الذي سار فيه من زكى ذلك المشروع وشجع عليه، أي غولدمان Goldman، غير أنّ ما يحسب للعوفي هو تجنبه للإدعاء الريادي أو الإبداعي في التوصل إلى صيغة منهجية جديدة"<sup>2</sup>.

إنّ أهمية تجربة العوفي هي، من ناحية، في تأكيدها على أنّ انتشار البنيوية التكوينية إنما تم على أرضية غذّاهها المنهج الماركسي، أو الجدلي، مما جعلها "مهياً للتصالح مع البنيوية في شكلها التكويني، لاسيما وأنّ رائد أحد أنماط ذلك التصالح، أي لوسيان غولدمان L. Goldman، كان يتحرك على أرضية مشابهة. وكانت الحركة النقدية المغربية في نهاية السبعينيات تتحرك كما يبدو على أرضية مشابهة جعلتها صالحة للمزيج الذي يشير إليه العوفي"<sup>3</sup>.

ومن ناحية أخرى، تكتسب تجربة العوفي أهميتها من حيث هي تكشف عن صدق مع النفس يخالف الادعاءات الكبيرة التي تسيء كثيراً إلى بعض أنماط الثقافة النقدية المشرقية. فهو لا يدّعي الخروج بمنهج جديد ولا يدعي أنّ استعماله للمنهج الجدلي قد حقق الصرامة التي قد يتطلع إليها البعض: "لم يكن استخدائي له، كما أرى، استخدماً أرثوذكسيا صارماً، وذلك لإيماني باستحالة وجود منهج بريء ومنغلق على نفسه"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص: 207.

<sup>2</sup> - نفسه، ص: 208.

<sup>3</sup> - الرويلي ميجان و البازعي سعد، دليل الناقد الأدبي، ص: 400.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص: 400.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ تجليات المناهج الغربية في النقد المغربي المعاصر

بل يرى أن قصارى ما يمكن أن يفعله الناقد هو "مقاربة نسبية ومحدودة سواء فيما يتعلق بتطبيق المنهج أو فيما يتعلق باحتواء النص واكتناحه"<sup>1</sup>. وهو من هذا المنطلق متفق مع محمد برادة في نقده للتفاعل العربي مع النقد الغربي وذلك في دراسة هذا الأخير لمحمد مندور.

### 4- حميد لحداني والرواية المغربية:

ينطلق لحداني في كتابه (الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي)، من قراءة نقدية للإرث النقدي السوسيولوجي الجدلي، ليصل إلى طرح البدائل النقدية للبنوية التكوينية. وأهم ملاحظة سجلها بشأن "الانعكاس والنقد الجدلي هي مساءلتهم النصوص الإبداعية بوصفها مواقف سياسية لكتابها، يبحثون في ثنائياها عن المعادل الاجتماعي بالدرجة الأولى"<sup>2</sup>.

ولذلك ابتعد هذا النوع من الطرح النقدي عن مجال الدراسة الأدبية، وأخذ صبغة سياسية وإيديولوجية صرفة، "فالدلالة الاجتماعية هي التي كانت تثير أولئك الدارسين، ولذلك اتخذ المنهج الجدلي التاريخي في النقد صورة إيديولوجية صريحة، وكان من شأن هذا الوضع أن يبعد الأحكام الصادرة عن الطابع النقدي الأدبي"<sup>3</sup>.

وهذا الوعي النظري هو الذي دفع الناقد لحداني لاكتشاف حقائق هامة وجديدة حول العلاقة العميقة بين الإبداع الفني والواقع الاجتماعي، وجعله يقترب من أطروحات النقد السوسيولوجي الجديد ابتداء من المفاهيم التي طرحها جورج لوكاتش G. Luktes في كتابه (بناء الرواية) الذي يعد - أي لوكاتش Luktes - مؤسس سوسيولوجيا الرواية، مروراً بأطروحات روني جيرار التي ضمنها كتاب (الكذب الرومنطقي والحقيقة الروائية)، وصولاً إلى المفكر والناقد لوسيان غولدمان L. Goldman الذي أسهم بفعالية في إثراء مفاهيم وإجراءات النقد السوسيولوجي.

وقد تبني لحداني تصورات غولدمان Goldman الأساسية حول البنوية التكوينية التي وضحها في كتابه من أجل سوسيولوجيا الرواية، ويمكن عدّها بمثابة مفاهيم نظرية أساسية. واستناداً إلى المحددات السابقة يتبنى لحداني المنهج البنوي التكويني أساساً منهجياً وإجرائياً في مقارنة النصوص الروائية المغربية. ويرى بأن "اختياره لهذا المنهج مبرر بكونه يعبر عن مستوى علمي متقدم يقترب من فهم طبيعة العلاقة الموجودة بين الإبداع والواقع الاجتماعي الإنساني"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص: 400.

<sup>2</sup> - عيلان عمر، النقد العربي الجديد - مقارنة في نقد النقد - منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2010، ص: 206.

<sup>3</sup> - لحداني حميد، الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط 1، 1985، ص: 10.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص: 208.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ تجليات المناهج الغربية في النقد المغاربي المعاصر

من حيث إنه يتيح إمكانية الجمع بين التحليل الشكلي والدراسة الاجتماعية.

لذلك نجده يقترح الاستفادة من المفاهيم الأساسية والأولية التي يعتمدها البنيويون في دراسة النصوص الروائية، وتتضمن بعض تطبيقاتها في إطار الدراسة البنيوية التكوينية.

وقد استند الناقد في تقسيم دراسته إلى المراحل التي اقترحها لوسيان غولدمان L. Goldman وهي: مرحلة الفهم، ومرحلة التفسير؛ " فالمرحلة الأولى تقوم على التحليل بغية الكشف عن البنيات المضمونية الداخلية العميقة دون الاستناد بأي شكل من الأشكال إلى المعطيات الخارجية التي يمكن أن توجه البحث وجهة خاصة؛ أما المرحلة الثانية فتهدف بالأساس إلى هيكلة النص ضمن مساره التكويني النشوئي الذي تُخلَق فيه وتتم عبر البنية المجتمعية التي تناظر بنية النص الداخلية، وتكشف عن تمظهر إيدلوجي خاص يتمثل النص أصداؤه"<sup>1</sup>.

ويوضح لحداني هذه المنهجية بقوله: "إنّ الدراسة تسير دائما في إطار بُعدين أساسيين: بُعد التحليل، ويستهدف الكشف عن البنى الفنية وما تُعبّر عنه أيضا من بنى مضمونية دون الرجوع في الغالب إلى أية معطيات خارجة عن النص..بُعد التفسير، وهو يستهدف وَضْع النص ضمن أبنية أوسع هي التي تُفسّر طبيعة الرؤية الاجتماعية التي يتضمنها العمل الإبداعي، ويتم التعرف على هذه البنية الفكرية الأوسع بما يوجد بينها وبين النص من تناظر"<sup>2</sup>.

وضمن مسار المقاربة التي تسير باتجاه إقامة التناظر بين البنية المجتمعية والبنية النصية، فإن لحداني يلتزم بالمحاذير المنهجية التي قدمها غولدمان Goldman بشأن تحاشي المقابلة المراءوية بين النص السردي والواقع. وبخاصة حين يشير إلى أنّ الأعمال الروائية مهما تشابهت أحداثها مع الواقع، فإنّ عالمها يبقى عالما متفردا يتمتع باستقلاليته من جانب كونها أعمالا تخيلية تركيبية بالدرجة الأولى؛ "فبالرغم من أنّ بنيات العالم الروائي مماثلة مع بنيات ذهنية لبعض المجموعات الاجتماعية، فإنّ الكاتب يملك كامل الحرية في بناء عالمه التخيلي"<sup>3</sup>.

### 5- محمد برادة و(محمد مندور وتنظير النقد العربي):

قدّر أكبر من الصراحة في مواجهة الإشكاليات المنهجية التي فرضها التعامل مع الفكر النقدي الغربي نجده لدى محمد برادة في دراسته لتجربة محمد مندور النقدية. تلك الصراحة استدعتها على ما يبدو، وإن جزئيا، وقفة برادة الحائرة أمام المناهج الغربية.

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص: 209.

<sup>2</sup> - السابق، ص: 16.

<sup>3</sup> - عيلان عمر، النقد العربي الجديد، ص: 209، 210.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ تجليات المناهج الغربية في النقد المغاربي المعاصر

فهو في بدء الدراسة يشير بشيء من الإبهام إلى (مناهجه) أو (منهجه): "لقد آثرنا فيما يخصنا، استحياء المناهج الصادرة عن البنيوية التكوينية كما بلورها كل من جورج لوكاتش G. Luktes ولوسيان غولدمان L. Goldman، وبير بورديو P. Bourdieu"<sup>1</sup>.

ما يريد برادة أن يقوله باختصار فيما يبدو هو أنّ المذاهب الأدبية الأوروبية تُستخدَم استخداما مبسترا لا يتعمّقها ولا يراعي اختلاف النصوص الأدبية التي تُطبّق تلك المذاهب في دراستها، وأنّه يتفادى تلك المشكلة من خلال ما يعبر عنه بالاستحياء، أي استحياء المناهج بدلا من تبنيها كما هي.

ذلك الهدف مهم وجدير بالتأمّل لكنه يستثير سؤالين: الأول، عن ماهية الاستحياء، أي كيف يكون، وما هي حدوده أو مقدار اختلافه عن التبني المرفوض هنا، كما يبدو؟ والثاني عمّا إذا كان الاستحياء ممكنا أصلا؟ لا نعثر في كتاب برادة عن جواب شاف لهذين السؤالين، ما نعثر عليه هو وعي برادة بالإشكالية المطروحة، إشكالية التعامل مع المناهج النقدية الغربية كما تتمثل في البنيوية التكوينية، ودراسته لمدور دراسة تأخذ بالاعتبار بعض سماتها الأساسية وذلك حسب تعبير برادة بـ "تحديد الشروط الاجتماعية- الثقافية التي تولدت عنها الإنتاجات الأدبية والنقدية خلال هذه الفترة (1936-1952 للحقل الأدبي، و1952-1965 للحقل الأيديولوجي) متأثرة ومستجيبة لعلائق معينة بين القراء، وبين المنتجين الأدبيين"<sup>2</sup>.

لكن برادة يؤكد في نهاية كتابه مسألتين مهمتين بخصوص ما استوحاه من مناهج تكوينية: الأولى أنه "لا يمكن الزعم بأن منهجنا علمي أو موضوعي بإطلاق: بل هو منهج يصدر عن رؤية أيديولوجية ولا يتحایل في إخفائها، والثانية أنّ منهجنا في هذا البحث لم يكن مكتملا منذ البداية، بل إنّ أهم عناصره تجمّعت وتبلورت أثناء البحث"<sup>3</sup>.

هذه المحدّدات أو التأطيرات لطبيعة الممارسة المنهجية وحدودها تبعث على الإعجاب لكنها تترك أسئلة كثيرة أخرى: "هل استطاع الناقد أن يستوحي فعلا تركيبة منهجية مميّزة تخدم غرضه؟ ثم ما هي الأسس الفلسفية التي بنى عليها الاختيار، الأسس التي نجدها لدى غولدمان Goldman أو بورديو Bourdieu أو غيرهما ممن طوروا رؤيتهم وممارستهم المنهجية في دراسة الأدب والثقافة عموما؟ عند برادة، كما عند غير ناقد عربي، لا نكاد نظفر بأكثر من الوعي بالإشكالية والسعي

<sup>1</sup> - البازعي سعد، استقبال الآخر، ص: 210.

<sup>2</sup> - البازعي سعد، الاختلاف الثقافي وثقافة الاختلاف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، ط1، 2008، ص: 313.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص: 314.

الطموح إلى تجاوزها، وهذا لا يغض بالضرورة من قيمة الدراسات نفسها<sup>1</sup>.

## 6- محمد ساري والبحث عن النقد الأدبي الجديد:

أصدر الناقد محمد ساري كتابه (البحث عن النقد الأدبي الجديد) سنة 1984 خصّصه (للقند البنيوي التكويني) وتطبيقاته، فجعل الباب الأول لنظرية النقد عند لوكتش Luktes، وغولدمان Goldman؛ عرض فيه (نظرية الرواية عند لوكتش Luktes) ممهّداً لها بلمحة سريعة عن حياة لوكتش Luktes الذي عاش في المجر في مطلع القرن العشرين تحت ظل إمبراطورية إقطاعية، ثم هاجر إلى ألمانيا حيث ظل فيها حتى قيام الحرب العالمية الأولى. واختلط فيها بالمتقنين الذين كان التيار الرومانسي المناهض للرأسمالية يجمعهم، فاتجهوا إلى تمجيد العصور القديمة، ليتمكنوا من تحقيق هويتهم، وهجر بعضهم المدن إلى الأرياف هرباً من الاغتراب الذي يعانیه في المدينة.

أما غولدمان Goldman ومنهجه البنيوي التكويني فقد عرضه الباحث من خلال المؤثرات اللوكاشية عليه، حيث "انطلق غولدمان Goldman من هذه المبادئ لإحداث تغيير جذري في منهجية سوسيولوجيا الأدب، معترفاً بدور لوكتش Luktes المؤسس الأول لهذه المنهجية. ولكن الدراسات السابقة في هذا الميدان إذا كانت قد اكتفت بالبحث عن تطابق العالم الواقعي والتجريبي في العالم الأدبي، فإنها قد اكتفت بالبحث عن الوثائق التاريخية أكثر مما تبحث عن الأدب ووحدته"<sup>2</sup>.

وفي القسم التطبيقي من الكتاب حاول الباحث الإحاطة بهذا المنهج في النقد الجزائري الجديد " (الإشكالية في رواية العشق والموت في الزمن الحراشي)، وفي القصة القصيرة الجزائرية، حيث ناقش كتاب: القصة القصيرة في عهد الاستقلال للناقد الجزائري محمد مصايف، فأخذ عليه فصله بين (الشكل) و(المضمون)، وحديثه عن القصة وكأنها هي وثيقة اجتماعية وسياسية، وإهماله العناصر الفنية للقصة، ثم ختم الباحث كتابه بفصل عن (النماذج القصصية) عرض فيه لـ: الليل ينتحر، والجراد المر، والتفكيك، والتلميذ والدرس، والشمس تشرق على الجميع، والزلزال"<sup>3</sup>.

## 7- عبد الله راجع والقصيدة المغربية المعاصرة:

أمّا رسالة المرحوم عبد الله راجع (القصيدة المغربية المعاصرة: بنية الشهادة والاستشهاد) فإنّها تمثّل جهداً إضافياً ينطلق من مبدأ الإيمان بالبنيوية التكوينية، ويعي الصعوبات التي تعترض تطبيقها على الشعر عامة، والشعر المغربي خاصة، ولذلك "استعان الباحث تلافياً للخلل الذي يمكن أن يعرّو

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص: 314.

<sup>2</sup> - عزّام محمد، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحداثيّة، ص: 264.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص: 265.

الفصل الأول \_\_\_\_\_ تجليات المناهج الغربية في النقد المغاربي المعاصر  
المنهج بعلم النفس كما طبقه شارل مورون Ch. Mauron ، وكذا بالبحوث الأسلوبية، مكتفياً،  
من البنيوية التكوينية بنظريتها العامة وخطوطها الكبيرة مثل مرحلتى: الفهم والتفسير والقراءة  
الداخلية والخارجية للنص الشعري<sup>1</sup>.

واستطاع بحسه الفني المرفه أن يدرس بوعي علمي ناضج قضايا أساسية في الشعر العربي في  
المغرب انطلاقاً من نصوص الشعراء الذين برزوا في السبعينيات، مثل "قضية المجاز وعلاقتها ببنية  
اللغة الشعرية، مسألة الإيقاع بما هي بنية موسيقية وعروضية ودلالية وعلاقتها بالقافية، هندسة  
النص الشعري أو البنية المعمارية وأشكال تجسدها، الصورة الشعرية وما تقوم عليه من تخيل ورموز  
واستعانة بالأساطير وغيرها"<sup>2</sup>.

إنّ الباحث لم يزاوج في رسالته بين معطيات البنيوية التكوينية وبين الأسلوبية وبعض حقائق  
علم النفس فحسب، ولكنه كان يربط قضايا القصيدة المغربية المعاصرة بتراثها العربي الإسلامي  
ويستعرض، في عجالة، منجزات العمل الشعري العربي وآراء النقاد القدامى فيه بحيث مكنته طريقة  
العرض هذه من تحديد النقطة التي وقفت عندها القصيدة القديمة وقصيدة التفعيلة وبيانها، في مقابل  
ذلك، "الإضافة الجديدة- مهما كانت ضئيلة - التي أتت بها القصيدة المغربية في السبعينيات، مقارنة  
أحيانا بتحقيقات قصيدة الستينيات، وقد شملت هذه المقارنة السريعة مستويات مختلفة أهمها اللغة  
الشعرية، البنية الإيقاعية، التشكيل المعماري أو البناء الدرامي والصورة الفنية، وهي المستويات  
الأربعة التي كرّس الباحث لدراستها في الجزء الأول من كتابه"<sup>3</sup>.

---

<sup>1</sup> - نقوري إدريس، البنيوية التكوينية- النظرية والتطبيق في النقد الأدبي المغربي أو (قارورة نصف ملأى نصف فارغة)- مجلة فكر ونقد، السنة  
الأولى، العدد6، فبراير 1998، الرباط، المغرب، ص:73.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص:73.

<sup>3</sup> - نفسه، ص:74.

### تجليات المنهج السيميائي:

عرف النقد الحديث و المعاصر مجموعة من المناهج النقدية و ذلك بفضل المثاقفة والترجمة والاحتكاك بالغرب ومن بين هذه المناهج، المنهج السيميائي الذي يُعتبر من بين أهم المناهج التي أخذ الاهتمام بها من لدن النقاد العرب، وخاصة في الدول المغاربية (محمد مفتاح، أنور المرتجي، عبد الملك مرتاض، عبد القادر فيدوح، عبد الحميد بورايو، حسين خمري، رشيد بن مالك، سعيد بوطاجين، محمد الناصر العجمي، علي العشي، سعيد بنكراد...)، عن طريق نشر كتب\* ودراسات ومقالات تعريفية بالسيمولوجيا، أو عن طريق الترجمة على شكل كتب، ما جعل إصداراتهم الأدبية في حقل السيميائيات ترتفع نوعا ما خاصة تلك التي يبدو تأثيرهم فيها واضحا بـرولان بارت R. Barthes الذي ترجموا كتابه (لذة النص) وتعددت الترجمات: فصدرت أول ترجمة سنة 1986م في جريدة (المحور الثقافي) بالدار البيضاء وقام بها محمد البكري ومحمد الهروشي، ثم الترجمة الثانية سنة 1988 عن دار توبقال المغربية وقام بها فؤاد صفا والحسين سحبان.

وفي اتجاه بارت Barthes السيميائي يقدم محمد السرغيني مجموعة من المحاضرات وجمعها في كتاب بعنوان (محاضرات في السيميولوجيا، عام 1987م) يبرز فيها نظرة بارت السيميائية للقصيدة. وعن تطبيق السيميولوجيا في الخطاب العربي يرى الناقد حفناوي بعلي أن الناقد (علي العشي) يعد من الرواد في تطبيقات السيميولوجيا الغربية على النص العربي من خلال دراسته التي ظهرت عام 1976م بعنوان: (تحليل سيميائي للجزء الأول من كتاب الأيام لطفه حسين)<sup>1</sup>، أو عن طريق المقالات في مجلات نقدية مثل: (مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية بالمغرب، 1987)، وأسست لها جمعيات على غرار (رابطة السيميائيين الجزائريين)\*\*<sup>2</sup>، وكذلك عن طريق الأطروحات والرسائل الجامعية،

<sup>1</sup> - حفناوي بعلي، التجربة العربية في مجال السيميائيات، محاضرات الملتقى الوطني الثاني السيميائيات والنص الأدبي، منشورات جامعة بسكرة، الجزائر 15-16 أفريل 2002، ص: 164.

\* بن مالك رشيد، مقدمة في السيميائية السردية، دار القصبة للنشر، (د ط)، 2000.

- إينو آن، تاريخ السيميائية، ترجمة: بن مالك رشيد، مراجعة: بوزيدة عبد القادر، بورايو عبد الحميد، منشورات مخبر الترجمة والمصطلح، جامعة الجزائر ودار الوفاق، (د ط)، 2004.

- بنكراد سعيد، السيميائيات- مفاهيمها وتطبيقاتها- دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط2، 2005.

- الداهي محمد، سيميائية الكلام الروائي، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2006.

- صبطي عبدة وبخوش نجيب، مدخل إلى السيميولوجيا، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2009.

<sup>2</sup> - وغلبيسي يوسف، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص: 227.

\*\* تأسست في ماي 1998 بجامعة سطيف، وتستهدف لَم شَمَل السيميائيين الجزائريين، وترقية الممارسات السيميائية ونشرها وتوزيعها وترجمتها، يرأسها الدكتور عبد الحميد بورايو، وينوبه الدكتور رشيد بن مالك.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ تجليات المناهج الغربية في النقد المغاربي المعاصر

ومن الكتب التي تناولت المنهج السيميائي نذكر على سبيل التمثيل لا الحصر ما يأتي:

### 1- محمد نظيف:

وعمد محمد نظيف إلى تأليف كتاب تعريفى بهذا العلم سماه (ما هي السيميولوجيا؟) (1994)، و"هو العلم الذي عرفه دو سوسير بدراسة حياة العلاقة في كنف المجتمع"<sup>1</sup>، وقد سجل نظيف في كتابه المخاض النظري الذي تعيشه السيميولوجيا خلال هذا القرن على يد باحثين أثروا بدرجة كبيرة البناء النظري السيميولوجي الحديث، وحدد مجالاته الأساسية: الصوتيات، الدلالة، المورفولوجيا. ونلاحظ أنّ التداخل بين العلوم اللغوية الحديثة جميعها واضح، وهو أكثر صراحة كلما استخدمت تحليلا لها في دراسة الأدب ونقده.

### 2- عبد القادر فيدوح:

من المقاربات التي استفادت من التوجه السيميائي المتكئ على القراءة التأويلية، (دلائلية النص الأدبي- دراسة سيميائية للشعر الجزائري-)، و(الرؤيا والتأويل- مدخل لقراءة القصيدة الجزائرية المعاصرة)، إذ يرى أنّ القراءة خَلَقَ جديد للنص فلم "يَعُدّ النص يحمل الراية الإيديولوجية التي اعتمدت بنية الخلل الاجتماعي مظهرها لها، ولا البطاقة الإستنطاقية (الإستبارية والإستخبارية) للذات المبدعة بوصفها علبة سوداء تساعدنا على استكشاف عبقرية الذات الواعية الفردية والجماعية؛ إنما محاولة الكشف عن غموض وكيونة الاحتمالية صفة مميزة له ضمن إجراءات تنظيم ولادته المتجددة"<sup>2</sup>.

وفي هذا التصور الجديد لماهية النص خصص جزءا من هذا الكتاب للتعريف بالسيميائية وأعلامها بعد توطئة تناول فيها البعد التأويلي، أعقبها بتوطئة أخرى للسيميائية ومنها ينطلق في دراسته التطبيقية لبعض النماذج من الشعر الجزائري القديم.

يعود نزوعه إلى السيميائية لدراسة النص الشعري إلى " أنّ المغامرة السيميائية في محاولتها فك رموز الخطاب دون أن يعني ذلك إحالة إلى كومة شفرات وقرائن لا عمق دلالي وراءها، هي طموح إلى هدم الجدارية المعيارية الثابتة ونفي للتوثيقية، ونزوع إلى تفكيك النص وتشريحه وفق أدوات إجرائية تستند إلى رصيد معرفي، وخبرات قرائية متنوعة ضمن مناخ استفهامي تساؤلي يرفض منطق الجواب ويؤيد عبث السؤال تبعا لمشروع حر يعتمد على الاستنباط والاستدلال والاستقراء،

<sup>1</sup> - أبو هيف عبد الله، النقد الأدبي العربي الجديد في القصة والرواية والسرد، ص: 241.

<sup>2</sup> - فيدوح عبد القادر، دلائلية النص الأدبي- دراسة سيميائية للشعر الجزائري - ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د ط)، 1993، ص: 2.



## الفصل الأول \_\_\_\_\_ تجليات المناهج الغربية في النقد المغاربي المعاصر

ومن ثمة فهو لا يسعى إلى إثبات ولا يصل إلى يقين، وهو مشروع القراءة السيميائية التي تثير تساؤلات النص وتجيّب عنها ضمن شروط الوصف، والتفسير، والرؤيا والتأويل الذي يضع كل يقين قيد السؤال<sup>1</sup>.

وفي الاتجاه نفسه يصب كتابه (الرؤيا والتأويل) فهو يرى " أنّ الشعر الجزائري المعاصر بحاجة ماسة إلى نبض الدم الفكري الذي من شأنه أن يُغذّي أوردّة النص جمالياً، ولذلك أجدني أمام فعاليات إجراءات التعامل مع النص من منظور تأويلي، والابتعاد ما أمكن عن مجال العرض والتفسير"<sup>2</sup>.

نجد أنّ الباحث مرّة يقرن التأويل بالتفسير، ومرّة يفصل بينهما دون أن يوضّح حدّ كل منهما، كما أنّ انشغاله بإعادة بناء دلالة هذه الأعمال والمراهنة على نوايا المؤلّفين صرّفه أن يتجه إلى نوايا النص لاستكشاف الميكانيزمات التي من خلالها تشتغل هذه الأعمال.

مما يلاحظ على هذه الدراسة مبدئياً أنها اعتمدت على المراجع العربية حول السيميائية، ولا نعثر على مؤلّف سيميائي في لغته الأصلية، هذا ما لم يُمكن الباحث من التعمّق في الثقافة السيميائية في أصولها، وهو عائق يقف في وجه كثير من الأبحاث التي مازال الباحثون العرب يتعرّفون إلى الفكر العالي مشوّهاً من خلال ترجمات تبتعد عن الدقة وابتعادها عن الجمال.

ومن نتائج ذلك الاستخدام المحدود للأدوات الإجرائية السيميائية، ولجوء الباحث إلى أسلوب التحليل الانطباعي حيث يسترسل في إعادة المعنى الذي تدور حوله الأبيات بالطريقة العتيقة في تحليل النصوص من مثل قوله: " في البيت الأول: استعار الشاعر أركان الإسلام ليجسّد من خلالها صفات المجني عليه، وما يغذّي دلالة هذه الاستعارة هي المثل العظيمة والمواقف الكبرى المتمثلة في التضحية والأسبقية في الإيمان والعلم (...)، أما البيت الخامس: فيرحل بنا الشاعر إلى أحداث عظيمة شهّدتها الأمم السابقة من خلال استعارته لشخصيات من القرآن الكريم (...)، البيت السادس: لقد أَلَفَ العرب استعارة السين للدلالة على البطولة، والبسالة، والجراة، واختراق صفوف الأعداء وتعزيز شملهم"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - خرمازة مريم، ملامح النقد الحدائي في الجزائر بين النظرية والتطبيق -البنوية والسيميائية أنموذجاً- رسالة ماجستير، إشراف الدكتور: أحمد يوسف، جامعة وهران، 2002، ص: 134.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص: 30.

<sup>3</sup> - نفسه، ص: 50، 51.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ تجليات المناهج الغربية في النقد المغاربي المعاصر

ومن مثل ذلك أيضا ما ورد في مكان آخر في تعليقه على أبيات للشاعر (سعيد هادف)، إذ يقول: " فالشاعر يُدمن السؤال، سؤال البحث عن عالم آخر (...) سؤال الحيرة الأبدية، ومأساة الذات لإخفاقها في تحقيق الوجود المفكر فيه من خلال الشيء الذي يثير السؤال، والمبدع في هذه الحالة يعرف مُسبقاً أنه يواجه صعوبة في تحقيق مبتغاه لأنه لا يملك الموصفات الضرورية لإجابة كافية يُبرّر فيها إثبات ملاحظة الظاهرة بالقدر الذي يتم إرضاءه معها"<sup>1</sup>، ويمضي الناقد في شرحه للأبيات بإنشائية أحالت خطابه النقدي قصيدة أخرى على قصيدة قصارها شرح الأبيات في كثير من المواطن.

### 3- سعيد بنكراد:

يعبر كتاب سعيد بنكراد (مدخل إلى السيميائيات السردية) (1994) عن ضعف التواصل الثقافي العربي، إذ ينطلق مؤلفه من تقرير واقعة حركة النقد الأدبي العربي المواراة بانشغال مجموعة من العلماء العرب الطليعيين في المشرق والمغرب بالأطر المعرفية والنقدية الجديدة، وهو الواقع الذي انطلق منه صلاح فضل في كتابه (بلاغة الخطاب وعلم النص) (1992)، ويتشابه هذا التقرير مع مقدمات محمد الناصر العجيمي التي ترى أنّ ساحة النقد العربي تخلو من الجهود النظرية في ميدان السرديات.

وهذا هو بنكراد يجهر بأنه " نادراً ما نعثر على عرض شامل وكامل لنظرية واحدة بمحدودها المعرفية وامتدادها داخل الحقول الأخرى"<sup>2</sup>. ويسمي ذلك قصوراً، ويعزوه إلى (تلقف) عجول للمعرفة الوافدة، "فغالباً ما تكون هذه المنشورات عبارة عن ترجمة لمقالات أو أجزاء من كتب، وأحياناً تعاليق مختصرة عن نظرية أو مجموعة من النظريات، ورغم أهمية هذه المنشورات وقيمتها العلمية، فإنها تظل ناقصة، ومضللة أحياناً"<sup>3</sup>. ومن الواضح أنّ بنكراد يطلق الكلام على عواهنه، ربما لعدم إطلاعه، على شغل يمني العيد أو صلاح فضل أو عبد الرحيم الكردي أو محمد الناصر العجيمي.. الخ، لأن جهده مسبوق أيضاً في التعريف بنظرية غريماس Griemas وما بعده، مما يشكل السيميائيات السردية.

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص: 70.

<sup>2</sup> - أبو هيف عبد الله، النقد الأدبي العربي الجديد في القصة والرواية والسرد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، (د ط)، 2000، ص: 406.

<sup>3</sup> - بنكراد سعيد، مدخل إلى السيميائيات السردية، دار تنمیل للطباعة والنشر، تانسیفت - مراكش، (د ط)، 1994، ص: 5.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ تجليات المناهج الغربية في النقد المغاربي المعاصر

وهذا مما جعل كتابه تعبيراً عن ضعف التواصل الثقافي العربي، بالنظر إلى جدية الشغل والرغبة في تأسيس معرفي نقدي للمناهج الجديدة.

وبطبيعة الحال، يظل هذا الجهد نافعاً لو أخذناه مفرداً، تأكيداً للطبيعة المعرفية التي يمارسها مع التقليد النقدي العربي، لأنه قائم على الانبهار المطلق، مثل باحثين ونقاد كثر، بنظرية غريماس، إلى حد الاستسلام لمصطلحها وآلياتها واستهدافاتها. وقد فعل بنكراد ما فعله العجيمي، عارضاً " نظرية واحدة هي نظرية غريماس Griemas بأكبر قدر من الشمولية والوضوح معتمدين في المقام الأول على أعمال صاحب هذه النظرية، وعلى بعض الأعمال الشارحة لهذه النظرية في المقام الأول"<sup>1</sup>.

بيد أن جهد بنكراد، يضيف إلى عرض النظرية تدقيقاً للتراث البروبي وللنماذج المستمدة منه، لأنه حاضنة هذه النظرية (الغريماسية).

تتميز نظرية غريماس Griemas عند بنكراد عن باقي النظريات الأخرى في المجال السردى بخاصية أساسية يمكن تحديدها في صيغة بسيطة: " مشكلة المعنى أولاً، وبشموليتها في التصور والتحليل ثانياً، والشمولية هنا لا تعني إلغاء التاريخ، لأنها محكومة كأى أثر معرفي بالزمنية الإنسانية، ولا تعني إلغاء النظريات الأخرى، إذ لا وجود لنظرية تقدّم نفسها بديلاً لنظريات أخرى، وتتميز ثالثاً بقدرتها نظرياً وتطبيقياً على معانقة خطابات أخرى غير الخطاب السردى "<sup>2</sup>، فعلى الرغم من أنّ المنطلق الرئيس في مسيرة غريماس كان هو الحكاية الشعبية أو النص السردى بصفة عامة، فإنّ نظريته تُستخدم أيضاً كأداة لمقاربة ظواهر نصية بالغة التنوع مثل النصوص القانونية والظواهر الاجتماعية والخطابات السياسية.

وتتأسس نظرية غريماس Griemas على التراث البروبي بوصفه انعطافة هامة في علم السرد، مما دعا بنكراد إلى التمعن في صنيع بروب Propp ، فعرض تصنيفه وأوجز فرضياته حول الحوافز والعناصر والوظائف والأفعال، ولم يغفل عن ذكر القراءات الناقدة للمشروع البروبي، ولا سيما قراءة كلود ليفي شتراوس C. L. Straus التي انصبت على الشكلانية، "الفصل بين المستوى التوزيعي Axe Syntagmatique والمستوى الاستبدالي Axe Paradigmatique هو الذي قاد بروب إلى الفصل بين المضمون والشكل، والشكل وحده، حسب بروب Propp ، قابل للإدراك، أما المضمون فلا يشكل

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص: 7.

<sup>2</sup> - أبو هيف عبد الله، النقد الأدبي العربي الجديد في القصة والرواية والسرد، ص: 407.

سوى عنصراً زائداً، ولا يملك أية قيمة دلالية"<sup>1</sup>.

مثلاً تنصب قراءة شتراوس Straus " في مرحلة ثانية على الوظائف نفسها، أي نمط اشتغالها وعددها وتتابعها. فإذا كانت العناصر المتحولة في التحليل البروي، هي ما يشكل كنه الحكاية عند شتراوس Straus. فإنّ الوظائف في تتابعها وعددها قابلة لأن يعاد فيها النظر، فاستناداً إلى تقاطع التوزيعي مع الاستبدالي، وإمكانية إسقاط المحور الأول على الثاني، يمكن تقليص عدد الوظائف، ما دام عدد كبير من هذه الوظائف قابلاً للمزاوجة"<sup>2</sup>.

ويهدف شتراوس بهذا التقليص إلى " تكسير التتابع - إحدى الفرضيات التي قام المشروع البروي عليها - وبالتالي رفض التعريف الذي يعطيه بروب للحكاية باعتبارها تتابعاً لواحد وثلاثين وظيفة، وهذا التكسير هو ضرب للبعد الكرونولوجي للحكاية. وتلك كانت نقطة الانطلاق في قراءة غريماس للمشروع البروي"<sup>3</sup>.

واستند بنكراد في عرض هذه القراءة على كلود زلبرياغ C. Zilberbeg وتابع عرضه للسرديات بعد بروب Propp الذي استطاع تحويل اتجاه السرديات نحو الاهتمام بما يشكل العنصر المميز للنص السردى، أي نحو البحث عن معنى الحكى في ما يجعل من كل عناصر النص، عناصر متماسكة داخل كلّ بنيوي تام، وهو ما ترسخ وحفر مجراه في علم السرد مع انطلاقة جديدة قام بها غريماس Griemas بإصدار كتابه الأول عام 1966 (الدلالة البنيوية)، فأضيفت اللسانيات إلى الإرث الشكلائي، لتصبح السرديات أكثر تطوراً وتماسكاً. وقد حدد أهم المحاور التي تشكل العمود الفقري للتصور الغريماسي، فيما يلي:

أ- **التنظيم العميق: Organization**، إذ تُردّ السيميائيات السردية إلى أصول متنوعة يمكن تحديدها في منابع التالية:

- الإرث اللساني السويسري.

- مدرسة براغ.

- أعمال برونديل وهلمسليف Hjelmslev.

- تراث الشكلايين الروس وخاصة بروب Propp.

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص: 16.

<sup>2</sup> - بنكراد سعيد، مدخل إلى السيميائيات السردية، ص: 408.

<sup>3</sup> - المرجع السابق، ص: 2019.

- الإرث الفرنسي (تنيير Tesniere ، وسوريو).

#### ب- التنظيم السطحي:

وتبدو فيه البنيات السيميائية السردية المشكّلة للمستوى الأكثر تجريداً في حدود كونها محفلاً أولاً داخل المسار التوليدي على شكل نحو سيميائي وسردي، ومن ثم فإنها تحتوي على مكّونين: مكّون تركيب، ومكّون دلالي. وتستدعي البنيات العاملة النظر من زاويتين هما: الزاوية الأولى وتحدد النموذج العاملي كنسق، وتحدد الزاوية الثانية هذا النموذج كإجراء.

لا شك، أنّ عرض نظرية غريماس Griemas ونقدها غير متيسر في صفحات قليلة، وما فعله بنكراد هو عرض يميل إلى الإيجاز والاقتصار على بعض العناصر. ومن هذه الناحية، يعد شغل العجيمي أشمل، وأكثر مقاربة، لأنه ألحقه بنقد تطبيقي، وهو الأمر الذي نشده بنكراد ولم يقم به، على أهميته، في "مدنا بمعرفة أكبر لهذه النظرية، وعلى تحديد مردوديتها وقصورها ومواقع ضعفها"<sup>1</sup>.

وتطرح هذه الدراسة، مثل مثيلتها، هيمنة المؤثرات الأجنبية على الممارسة النقدية التي تتوسم الاتجاهات الجديدة لنقد القصة والرواية في التفكير الأدبي برمته على سبيل الترجمة، لا التعريب، وهذا جلي في الاختلاف البين في نقل هذه المناهج الحديثة، سواء في التركيب أو المصطلح أو التوصيف.

#### 4- السعيد بوطاجين:

اجتهد الناقد في مؤلفه (الاشتغال العاملي، دراسة سيميائية "غدا يوم جديد" لابن هدوقة) في التعامل مع نظرية غريماس Griemas السردية (Sémiotique narrative) بما تحتبل به هذه النظرية من صعوبات في استيعابها، فأفكار وطروحات ألجرداس جوليان غريماس A.J. Griemas يحتويها كتاب واحد بعينه، بل نلقاها منشورة في مؤلفات ودراسات ناهيك عن المقالات المدبجة في المجالات ذات التخصص<sup>2</sup>.

وليس الظفر بالميراث الغريماسي-بعد جهد مضمّن- بالكافي لأنّ يجد الدارس طريقه ممهدة في تطبيق أفكار الرجل، إذ تبقى أمامه في فهم وفك رموز كتابات غريماس Griemas التي لما تُحدد معالمها بعد، فلقد اعتبر الرجل نفسه أنّ "ما قدّمه في مجال السيميائية مجرد مشروع علمي قابل للتطور والتنقيح والتلقيح"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص: 24.

<sup>2</sup> - راشدي حسان، تلقي السيميائية في النقد الأدبي بالجزائر، ملتقى الخطاب النقدي العربي المعاصر - قضايا واتجاهاته - المركز الجامعي بخنشلة، 22، 23 مارس 2004، ص: 148.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص: 149.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ تجليات المناهج الغربية في النقد المغاربي المعاصر

يتضمن كتاب (الاشتغال العاملي) مقدمة، وتمهيدا، وفصلين، وخاتمة .

يقدم الناقد لدراسته التي يراها بدئية لدرجتها ضمن تجارب النقد المغاربي الجديد، ويعتبرها امتدادا للمحاولات المؤسسة التي بدأت تعطي ثمارها في البلدان المغاربية في السنوات الأخيرة.

وقد بطن الباحث ميله-غير البريء- لدراسة رواية (غدا يوم جديد) للأديب الراحل عبد الحميد بن هدوقة، " بما تتميز به هذه الرواية الأخيرة للأديب من درجة نوعية مختلفة أسلوبيًا ولفظيًا وبنائيا، فمن الوفاء والأمانة من جهة، والواجب العلمي من جهة ثانية أن يُعترف بابن هدوقة لما قدمه للأدب الجزائري"<sup>1</sup>، وبين هذا وذاك تبقى هذه الدراسة إسهاما علميا ونوعيا في الحركة النقدية المعاصرة الجزائرية.

يحرص الكاتب حديثه في إشكالية العامل (Actant) العنصر المحوري في اللعبة السيميائية، والذي يعتبره الموضوع البؤري الأساس في نظرية غريماس Griemas السيميائية، فقد وجد مصطلح العامل يتداخل ويتقاطع مع مصطلحات أخرى كالشخصية (Personnage)، الممثل (Acteur) والوظيفة (Fonction)، وقد أحدث استعمال هذه المصطلحات من قبل الدارسين خلطا في المفاهيم وغموضا في التحليل السيميائي للنصوص.

وقد توصل غريماس Griemas إلى استخلاص " نظرية العامل من تطويره لنظرية الوظائف التي خرج بها بروب Propp من تحليله للقصص الشعبي الروسي، كما استفاد من نتائج أبحاث العالم اللغوي تنيير Tesniere في دراسته للجملة الفرنسية"<sup>2</sup>.

وفي ظل عنوان (الترسيمات العاملة) الذي عنون به الفصل الأول عرض الباحث فيه توزيع العوامل الكبرى ضمن بني عاملية كبرى وفق تنظيم معين داخل النص، وقد عني الباحث بجركية النموذج العاملي حيث أن " السرد يقوم في أساسه على التحول من طور إلى طور، والانتقال من حال إلى حال"<sup>3</sup>.

وقد وجد الباحث أن البرامج السردية (Programmes narratifs) خمس ترسيمات عاملية تتحدد بموجب علاقة الذات بالموضوع وهي (الرغبة Désir)، وهذه الترسيمات العاملة هي:

- ترسيمة: المدينة- الموضوع (1).

- ترسيمة: الكتابة- الموضوع.

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص: 49.

<sup>2</sup> - نفسه، ص: 50.

<sup>3</sup> - العجيمي محمد الناصر، في الخطاب السردى (نظرية غريماس)، الدار العربية للكتاب، تونس، (د ط)، 1993، ص: 47.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ تجليات المناهج الغربية في النقد المغاربي المعاصر

- ترسيمة: الزاوية- الموضوع.
- ترسيمة: الأرض- الموضوع.
- ترسيمة: المدينة- الموضوع (2).

المُلاحَظ في التحليل السردى الذي عالج به الناقد رواية (غدا يوم جديد) أنه لم يفرض النموذج العاملي على النص الروائي، بل نجده مَرِنًا في التعامل مع أدوات التحليل حيث لجأ إلى الاستقراء في وضع الترسيمات العاملة معتمدة على هندسة النص كمنطلق، ثم ليعقبها بالتحليل الذي يعمد فيه إلى تعديل تطبيقات النموذج العاملي، وهذا دفعا لأي غموض يسمُ مثل هذا النوع من الدراسة.

وقد أشار الناقد إلى هذا عندما تحدّث عن الانزلاقات العاملة الناتجة عن حركية النموذج العاملي، ومن ثم صعوبة الإمساك به إلا وهو يتحرك وظيفيا، وقد عبّر الناقد عن هذه الصعوبة بـ "الانفجارات العاملة والتعمية"<sup>1</sup>. وهذا بسبب تداخل الذات (Sujet) باستبدال أدوارها إلى جانب تداخل الرغبات، ومن ثم تماهي الموضوعات واختلال قيمها في آن.

غير أنّ هناك اتجاها آخر يمكن أن يُسلّك لفكّ هذا الإشكال أو التخفيف منه على الأقل، وهذا مع الإقرار بثُلوم فيه ونقائص تكتنفه، وهو أنّ توظيف مصطلح (المشروع السردى) يجب أن نتوسع في استعماله لأنّ الأعمال التي توظف لتحقيق تحويل معيّن - وهو المشروع السردى - ليست ذات فائدة أو أهمية تجعل كل المشاريع السردية في مستوى واحد.

ولهذا نجد فيما ذهب إليه الباحث محمد الناصر العجيمي ما يساعد على التطبيق العملي للنموذج العاملي، فلقد قَسَمَ الباحث البرامج السردية إلى قسمين، أطلق على الأول مصطلح "مشروع سردي رئيسي، وصنّف الثاني بمصطلح: مشروع سردي ثانوي"<sup>2</sup>.

وتتمحور هذه الدراسة في العلاقة بين الذات والموضوع التي تعدّ نواة كل حركة سردية، وفي هذه الحالة يقوم التحليل بالبحث في المستوى السيميوى السردى (Semio-narratif) لموضوع القيمة (Objet de valeur) ذلك أنّ أي موضوع لا يمكنه أن يغدو (موضوع- قيمة) إلا إذا كانت هناك ذاتٌ ترغب فيه. وهذا ما هو مخصّص له الفصل الثانى المعنون بـ (المثلثات العاملة) التي تُستجلى بها البنية العميقة.

<sup>1</sup> - راشدى حسان، تلقي السيميائية في النقد الأدبي بالجزائر، ص: 153.

<sup>2</sup> - المرجع السابق، ص: 73.

## 5- عبد الملك مرتاض:

كما أنّ عبد الملك مرتاض طبق المنهج السيميائي في كتابيه (دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة "أين ليلاي")، و (ألف ليلة وليلة" - تحليل سيميائي تفكيكي- لحكاية "حمّال بغداد")، فعبد الملك مرتاض يستخدم السيميائية للكشف " عن نظام العلامات في النص على أساس أنها قائمة بذاتها فيه، لا مجرد وسيط وذلك بتعريه البنية الفنية للنص الأدبي، وصهرها في بوتقات التشاكل والتباين والتناص، والإنزياح الذي يحرف الدلالة عن موضعها"<sup>1</sup>، وغيرها من الدراسات النقدية السيميائية التي مازال البحث والكشف فيها قيد الدراسة بعد، أو تحتاج إلى إعادة قراءة كالنصوص الشعرية القديمة التي مازالت تحتفظ في بنائها العميقة بالكثير من القراءات الواعدة ضمن مناهج النقد المعاصر وعلى الخصوص المنهج السيميائي.

---

<sup>1</sup> - الموسى خليل، قراءات في الشعر العربي الحديث والمعاصر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، (د ط)، 2000، ص: 110.



### تجليات الهرمينوطيقا:

إنَّ أول عمل دشّن لحظة استقبال المفهوم الغربي (الهرمينوطيقا) Herméneutique في الخطاب العربي المعاصر يتمثل في دراسة كان قد أنجزها نصر حامد أبو زيد بعنوان (الهرمينوطيقا ومعضلة تفسير النص)، وقد نُشرت هذه الدراسة أول مرة سنة 1981 في مجلة فصول المصرية، شكّلت الدراسة زمن ظهورها حدثاً تأسيساً في الخطاب النقدي العربي، وفي التعريف بنظرية غربية وتقديم أبرز أصولها ومبادئها إلى النقّاد العرب، أما في النقد المغاربي فنذكر على سبيل التمثيل:

#### 1- سعيد علوش وهرمونتيك النثر الأدبي:

يُعَدّ سعيد علوش من المهتمين بقضايا الحداثة وما بعد الحداثة في الأدب والنقد والترجمة، وفي الدراسات المقارنة وانفتاحها على فضاءات جديدة من الدرس المقارن، وتدل مؤلفاته على تنوع اهتمامه وثراء تجربته؛ فهو فضلاً عن صفته باحثاً أكاديمياً، مختصاً في مجال الأدب الحديث والمقارن، جمع أيضاً بين الإبداع والنقد في مجال الرواية تحديداً، ويبدو أن كتابه (هرمونتيك النثر الأدبي) بطابعه التنظيري يمثّل مقدمة لمشروع نقدي في هذا المجال.

يرصد علوش في كتابه هذا مظاهر التنوع في الصورة الاصطلاحية التي ظهر فيها المفهوم الغربي للهرمونتيك/ التأويل، وهذا التنوع في اقتراح المقابلات العربية ناتج بالضرورة عن تنوع في الأطر المعرفية، والمرجعيات النظرية والفكرية، التي يصدر عنها أصحابها، بل إن المصطلح المقترح، ولاسيما في صيغته الدخيلة، ينطق ويفصح بالمرجعية الأجنبية، التي تأثر بها الناقد علوش، فمن مرجعية أنجلوساكسونية مع (نصر حامد أبو زيد) بالمشرق العربي، إلى مرجعية فرانكوفونية مع سعيد علوش بالمغرب العربي.

لقد اختار علوش أسلوب الدخيل في صياغة مقابل عربي للمصطلح الغربي (هرمونتيك)، وكتب هذا المصطلح بالعربية وبالصورة الصوتية، التي ينطق بها في اللغة الفرنسية (هرمونتيك)، وهو أسلوب يعتمد الباحث بكثرة في نقل مصطلحاته الغربية، يقول: " يعني جوهر المصطلح (الهرمونتيك) مجموعة من المعارف والتقنيات التي تسمح باستنطاق الرموز، واكتشاف معانيها"<sup>1</sup>.

وقد استعمل هذا المصطلح بصيغتين، فراوح بين (هرمونتيك)، و(هرمونتيكي) في متن الدراسة، وقرن هذا المصطلح بعبارة (النثر الأدبي) على سبيل الإضافة الدالة على التخصيص، فغدا عنوان الكتاب (هرمونتيك النثر الأدبي)، موحياً منذ البدء بنزعة صاحبه إلى محاولة تأسيس نمط

<sup>1</sup> - بارة عبد الغني، الهرمينوطيقا والفلسفة - نحو مشروع عقل تأويلي - منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008، ص: 89.

الفصل الأول \_\_\_\_\_ تجليات المناهج الغربية في النقد المغاربي المعاصر  
خاص من الهرمونوتيك، يتعلق أساساً بمجال النثر الأدبي، ومن هنا كان في الحقيقة مصدر الإغراء  
في العنوان.

انبنى الكتاب على تقديم أسند له الباحث عنوان (في المكونات الهرمونوتيكية للنثر الأدبي)،  
وعلى تسعة فصول: (في الكلمات والأشياء) - (في الحقيقي والمنهجي) - (في الظاهراتي والإبستمولوجي) -  
(في الدائرة الهرمونوتيكية) - (في ثنائية السخرية) - (في جدلية اللعب والرمز) - (في الألفة  
والغربة) - (في التأويل والتفسير) - (في المستنسخات الهرمونوتيكية).

أراد الناقد علوش أن يكون تقديمه لهذا الكتاب (تقديماً على غير التقديم) إثارة وتشويقاً  
وخروجاً عن المألوف والعادة، فقد سلك في كتابة هذا التقديم مسلكاً (إبداعياً)، فبدأ صوت الناقد/  
المؤسس فيه خافتاً أمام صوت المبدع، المغامر بفعل الكتابة وفيها والانفعال بها، وإن كنا لا نشك  
في أن الباحث له حس إبداعي وروائي لا مرء فيه، حيث تتحول لغة الكتابة من دورانها على ذاتها  
إلى لغة نقدية مفهومية، تحاول تحديد موضوعها وضبط أطرها ومجالاتها، يقول في هذا السياق:  
" ويبحث الهرمونوتيكي في التأويل، الذي يطبع مشاكل ومناهج الدرس الأدبي في علاقته الوثيقة بنقد  
النصوص وقراءتها وفهمها في مرحلة أولى، وتجاوز مجرد نقد النصوص وتأويلها إلى تكوين نظرية عامة  
للإنتاج"<sup>1</sup>.

وإذا رجعنا إلى كتاب (معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة) للمؤلف نفسه، نجد مصطلح  
(الهرمونوتيكية)، أي بإضافة تلك اللاحقة (ياء النسبة مع تاء التأنيث)، في حين أنه استعمل  
(هرمونوتيك) في مسرد المصطلحات الذي وضعه في خاتمة كتابه، يعرف الباحث الهرمونوتيكية:  
" بأنها طريقة تأويل وتخرج تدرس المبادئ المنهجية في التعامل مع النصوص وتفكيك رموزها،  
وكشف أغوارها في التقليد القديم (...)، أما الهرمونوتيكية حديثاً، نظرية تأويل رموز لغة أدبية بوصفها  
كلاً لعناصر ثقافية"<sup>2</sup>.

فما يلفت الانتباه مما تقدّم من حد الهرمونوتيك وتعريفها، أو الهرمونوتيكية، هو تأكيد علوش  
على أن يجعل الهرمونوتيكية بوصفها نظرية في التأويل، يتعلق موضوعها بالرموز مطلقاً وباللغة الأدبية  
تخصيصاً بوصفها هي الأخرى لغة فنية رامزة، ونلاحظ في هذا التخصيص الأول أنه يجعل النص الأدبي/  
أو اللغة الأدبية هي الموضوع المباشر للهرمونوتيك، وتخصيصاً ثانياً يتحول فيه النص الأدبي إلى النص  
النثري تحديداً.

<sup>1</sup> - بعلي حفناوي، إشكالية التأويل ومرجعياته في الخطاب العربي المعاصر، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، ع440، 2007، ص: 29.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص: 89.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ تجليات المناهج الغربية في النقد المغاربي المعاصر

ومن هنا يأتي عنوان الكتاب (هرمنوتيك النثر الأدبي)، فالباحث وجد في قول بول ريكور P. Ricœur سنداً نظرياً، يشرع بمقتضاه ما ذهب إليه من محاولة، لتأسيس هرمنوتيك خاصة، بل أخص إن شئنا الدقة أكثر.

لقد حرص الناقد سعيد علوش وهو يؤسس لهرمنوتيك النثر الأدبي على ضبط بعض الأصول الغربية، على أن يضيف نعت النثري أو النثرية على أغلب عناوين فصول الكتاب، والتي كانت تختزل بعض قضايا التأويل، ومبادئه حسب خصوصية كل نظرية، أو بالأصح حسب ما يومئ بتلك الخصوصية، فغدت أغلب فصول الكتاب معنونة في متن الدراسة، بل إن أغلب المنظرين الذين ذكرهم الباحث وحشدهم حشداً، من شلايرماخر Schleiermacher ، و دلثاي Dilthey ، و هوسرل Husserl ، و هايدجر Heidegger ، و غادامير Gadamer ، و ريكور P. Ricœur وغيرهم، والذين حضروا من خلال مقولاتهم عن تأويل النص مطلقاً، أو الفن أو الرمز، أو من خلال جهازهم المفهومي والاصطلاحي، الخاص كالكتاب والتجربة والتاريخ.

وفي محاولة ضبط مفهوم الهرمونتيك وموضوعه، باعتبار أن ذلك يعد وجهاً من وجوه التأسيس النظري، عمد الباحث في ذلك إلى ترجمة بعض الفقرات لبعض المنظرين الغربيين، وما ذهب إليه من " تمييز بين التفسير والتأويل، وتأكيد على التكامل بينهما في التعامل مع النص النثري أو التجربة النثرية ليصير التفسير تفسيراً نثرياً يهتم ببيان الأثر الذي يخلفه مقصد التعبير، وموجّهاً للقارئ إلى بعض التأويلات"<sup>1</sup>.

### 2- عبد العزيز بومسهولي والشعر والتأويل:

يتناول عبد العزيز بومسهولي (أدونيس) بقراءة تأويلية في كتابه الموسوم بعنوان: (الشعر والتأويل - قراءة في شعر أدونيس-)، حيث يشير إلى أنّ أدونيس يبلغ ذروة تفجير الرؤيا الاستبطاني، بخلقه لكون شعري متميز سمته التشاكل، حيث تتداخل في تجربته الفريدة تشكيلات خطابية متعددة بعضها يمكث في التراث الصوفي الإنساني القديم، تراث النفري على وجه الخصوص، وبعضها الآخر يطفح من رؤية معاصرة، ومن خلال هذا التشاكل، يتمكن الشاعر من اختراق الخطابين معاً: " القديم والمعاصر، ليس قصد التوقع داخلهما، وإما لبناء شعرية حدائية متمكنة فعلاً من تأسيس حقيقي لإقامة فعلية في العالم، وذلك من خلال لغتها الشعرية الخصبية التي تحمل أصوات

---

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص: 30.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ تجليات المناهج الغربية في النقد المغاربي المعاصر

الوجود الإنساني الحي المتعددة، كما تعبر عن موقف إبداعي ضمني يتخلل رؤيا /الأسرار الشاعر ويمنحها فرادتها وحدائتها في الآن نفسه".<sup>1</sup>

ويقوم بومسهولي بدراسة تطبيقية تأويلية على شعره (أدونيس)، فيرى أن الرهان الصوفي قد تجسّد عند أدونيس في ديوانه الأخير من خلال قصيدتي (البرزخ)، و(في حضن أبجدية ثانية)، العنوان في القصيدة الأولى " (البرزخ) سليل ومفهوم مركزي في تصور الصوفية للوجود، وعليه بنى نظريته في الخيال، وقد اكتسب هذا المفهوم قدرة تحليلية في كتابات الصوفية، تغري بإعادة بنائه في سياقات متعددة، وهذا ما خبره أدونيس في تسمية ديوانه (البرزخ)"<sup>2</sup>.

وبالتأويل يستدعي شعر أدونيس الظاهرة الروحانية، فقد استحضر المتصوفة مثل (النفري) فحققت القصيدة ليهما ذلك المزيج بين العقل والعاطفة، فتوافر لديه ما لدى هذا الصوفي، " فتمّ استدعاؤه في القرن العشرين بلغته الحوارية، ومفاهيمه المتنامية عبر الاستعارة والمجاز وكل ما هو محسوس، و باستهلالته التي تنطوي على الغرابة والدهشة، كما يحتج أدونيس بعباراته التصويرية، فثمة دخول لصوره الرمزية، شعريته، اقتباساته الذائعة في دواوينه"<sup>3</sup>.

وهكذا فالشاعر في قصيدة (البرزخ) يستدعي من لب الخطاب المعاصر إشكالية الأسماء والأشياء، وتحضر أصوات العصر في ثنایا العبارة الشعرية الأدونيسية، لكن تكمن براعة أدونيس في التوصل إلى رؤية جدية، مكنته من الدخول فعلاً إلى مغامرة التسمية، بما هي بحث عن هوية الأشياء التي تقيم في العالم، القصيدة (البرزخ) مفتاحها الذي يمكن من دخول عتبة الأشياء وأسمائها، ويعبر هذا المفتاح عن علاقة نوعية تكشف عن دور الذات الوظيفي في التوغّل داخل أبعاد تشكّل امتداداً حضارياً للوجود، هي الأساطير والحلم والتاريخ.

وهكذا تطبيقياً وبالقراءة التأويلية، يصل الباحث بومسهولي إلى أنّ أدونيس بدوره مؤوّل، وإذا كان أدونيس مؤوّلًا لتراث النفري الصوفي في عدد من قصائده، كما هو الشأن في قصيدة (في حضن أبجدية ثانية)، فإنّ في " قصيدته الرائعة (البرزخ) هو قارئ مغامر يقترح الرؤيا المعاصرة، وينفذ داخل أصواتها ورؤاها الاختلافية ليكشف التداخل الإجناسي، ودوره في تعميق التجربة الشعرية التي لا تكتفي فقط بالاستفادة من تلك الأصوات، وإنما لبلورة صوت الشعر الذي يحفر

<sup>1</sup> - بعلي حفاوي، إشكالية التأويل ومرجعياته في الخطاب العربي المعاصر، ص:32.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص:33.

<sup>3</sup> - نفسه، ص:33.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ تجليات المناهج الغربية في النقد المغاربي المعاصر

مادته داخل هذا التشاكل الخطابي بشرط أن يتوافر على حُسن استشراقي لا يقف عند حدود الخطابات السابقة، وإنما يتجاوزه باعتباره ضمير المستقبل المجهول<sup>1</sup>.

وخصّصت مجلة البلاغة المقارنة «ألف» (الدار البيضاء) أحد أعدادها (للهرمينوطيقا والتأويل)، بوصفها الفرع المعرفي الذي يتناول التفسير والتأويل، قديمه وحديثه في آن واحد، ففي الماضي كانت تدور حول النصوص المقدسة، أما الآن فأصبحت تعنى بنوعيات مختلفة من النصوص، ويتمثل إحياء هذا الفرع المعرفي في انتشار نطاق فاعليته من نصوص مقدسة بعينها إلى أنواع كثيرة من الخطاب العلماني، وذكر محرر العدد المذكور "أنّ تاريخ الهرمينوطيقا في مجال الثقافة العربية، ما يزال في دائرة الدور الاجتماعي، ونادراً ما اهتمت بتحليل تعقيد عملية الفهم وأبعادها"<sup>2</sup>. ومن الكتب التي تناولت الهرمينوطيقا نذكر على سبيل التمثيل:

- إيكو أمبرتو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة وتقديم: بنكراد سعيد، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، 2004.
- شرفي عبد الكريم، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007.
- بن بوعزيز وحيد، حدود التأويل-قراءة في مشروع أمبرتو إيكو النقدي- منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008.
- بوزيد بومدين، الفهم والنص-دراسة في المنهج التأويلي عند شليرماخر و ديلتاي- منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008.
- بارة عبد الغني، الهرمينوطيقا والفلسفة - نحو مشروع عقل تأويلي - منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010.
- معافة هشام، التأويلية والفن عند هانس جورج غادامير، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010.

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص: 33.

<sup>2</sup> - أبو هيف عبد الله، النقد الأدبي العربي الجديد في القصة والرواية والسرد، ص: 267.

## المبحث الرابع:

### تجليات جمالية التلقي:

تحتل نظريات القراءة أو التلقي بقدر كبير من الاهتمام لدى النقاد العرب المعاصرين، إن من حيث التنظير، أو التطبيق، أو الترجمة، وقد كان للنقاد والباحثين في المغرب العربي نصيب كبير من الاهتمام، فالفينا أقلما كثيرة تبحث في القراءة والتقبل والتلقي والتأويل، ونذكر على سبيل التمثيل لا الحصر ما يأتي:

#### 1- سعيد علوش:

ترجم سعيد علوش سنة 1986 دراسة لهانز روبرت ياوس H. R. Jauss تحت عنوان: "جمالية التلقي والتواصل الأدبي، مدرسة كونستانس الألمانية"<sup>1</sup>، ونشرت في مجلة الفكر العربي المعاصر التي كانت هي وشقيقتها: العرب والفكر العالمي منبرين لمختلف النظريات والتيارات الحديثة في النقد والفكر.

#### 2- رشيد بن حدّو:

في عام 1987، نشرت مجلة آفاق المغربية ملفا عن جمالية التلقي، انطوى على عدد من الدراسات والترجمات التي أدخلت إلى التداول النقدي العربي طائفة من الاصطلاحات الجديدة المنتمية إلى هذا الاتجاه النقدي، من قبيل: التحقق، وأفق الانتظار، والتجربة الجمالية، والتفاعل، والمسافة الجمالية. في الملف، تحدّث رشيد بن حدّو عن ريفاتير Riffaterre والتلقي، والسفسطائيين والإغواء الجمالي، وأرسطو Aristote والتطهير، وبريخت والتغريب، والنظرية التداولية التي تُحلّل الملفوظات إلى المرسل إليه، وبارت Barthes والقارئ المحتمل، والجمهور المتلقي عند اسكايرت، والإمكان والإنجاز في فعل القراءة، وأنواع القارئ، والتحقق والوعي ومادية العمل الأدبي، ومعايير أفق الانتظار، وتعريف المسافة الجمالية، وتاريخ الأدب والتلقي، وتطبيق مفهوم أفق الانتظار على الجنس الروائي<sup>2</sup>. وعلى هذا النحو ضُخّت هذه المفاهيم دفعة واحدة إلى داخل الثقافة العربية، واستُقبلت وكأنها مسلّمات تُمارس تأثيرا وإغواء وهيمنة على الناقل الناقد الرائد.

<sup>1</sup> - عودة ناظم، طريق التلقي والتأويل إلى الخطاب النقدي العربي، مجلة علامات، ع30، ص: 58.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص: 60.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ تجليات المناهج الغربية في النقد المغربي المعاصر

وفي العدد نفسه من مجلة آفاق، ترجم رشيد بن حدّو دراسة لـ(أ. شوماشير)، اشتملت على الحديث عن: "المسوِّغات الأيديولوجية والثقافية والسياسية لظهور اتجاه جمالية التلقي، وعرض مفهوم (تاريخ الأدب) عند ياكوس Jauss الذي يقترح فيه إنجاز عملية التاريخ الأدبي بالأخذ بعين الاعتبار تلقي القارئ للعمل الأدبي، والتعريف بمفهوم ياكوس Jauss أفق الانتظار من حيث شروطه ووظيفته وعلاقته بالشكلانية التي طرحت مفهوما موازيا هو التطور الأدبي"<sup>1</sup>.

### 3- حميد لحداني:

يتجلّى تأثير جمالية التلقي عند الناقد لحداني في كثير من مؤلفاته؛ ونشير هنا إلى كتابه (القراءة وتوليد الدلالة- تغيير عاداتنا في قراءة النص الأدبي)، الذي ألّفه الباحث بهدف "محاولة إعادة النظر في علاقاتنا بالنصوص الأدبية، وخاصة تلك الفكرة التي تتعامل مع النص الأدبي باعتباره حاضنا لمضمون مُحدّد وثابت عبر العصور، هذا الموقف يسوي من حيث لا يدري بين الخطاب الأدبي من جهة والخطاب اليومي أو العلمي باعتبارهما يتميزان بالقصدية المباشرة، في حين أنّ الخطاب الأدبي يميل على الدوام إلى خلق أبعاد تتجاوز المظهر التعبيري للإيحاء بدلالات أخرى نحس بوجودها على الاحتمال لا على وجه التصريح"<sup>2</sup>.

وقد سعى الناقد جاهدا للتأكيد على أنّ فكرة الدلالة الثابتة التي سادت طويلا في الثقافة العربية ينبغي أن تزول لتحل محلّها قضية التأويل، فبدل أن يسعى القارئ بكل ما أوتي من جهد لفهم النص الأدبي، عليه أن يسعى لتأويله؛ لأنّ الفهم يقتضي دلالة واحدة ثابتة، أما التأويل فيقتضي تعدّد الدلالات، وبالتالي تحويل علاقة (القارئ- النص) من الفهم إلى التأويل.

ومن خلال محاور الكتاب نلمح رغبة الناقد في إيجاد علاقة جديدة تربط النصوص العربية بالقارئ (الذي صار يشكّل قطبا مهمّا في نظرة هؤلاء النقاد)، وهذه العلاقة هي خلاصة تأملات في واقع الأدب العربي خلال السنوات العشر الأخيرة، وهو عرض لبعض الظواهر التي هيمنت على النتاج الأدبي وعلاقته مع القارئ.

ففي الفصل الأول يهتم الباحث بالتناص وإنتاجية المعنى، والقراءة بين التواصل والتفاعل، ثمّ النص الأدبي في ضوء نظرية التلقي الذي يخصصه لمناقشة جملة من الآراء النظرية خاصة ما تعلّق بآراء جمالية التلقي.

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص: 61.

<sup>2</sup> - لحداني حميد، القراءة وتوليد الدلالة- تغيير عاداتنا في قراءة النص الأدبي- المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2003، ص: 7.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ تجليات المناهج الغربية في النقد المغاربي المعاصر

وقد منح الكاتب تميّزا لكتابه من خلال دعمه للمقاربات النظرية بنماذج تطبيقية وهو ما يَنْقُص كثيرا من الدراسات في هذا الجانب؛ ففي الفصل الثالث الموسوم بـ (مستويات القراءة) وفي عنوانه الفرعي اختلاف التأويلات (قراءة ثلاثية نجيب محفوظ) يُقدِّم الباحث خمس قراءات - مستندا إلى الألمان - تبين اختلاف مستوياتها وتنوعها:<sup>1</sup>

فالقراءة الأولى: تعني أنّ الثلاثية تُقدِّم إجابة على سؤال اليسارية الماركسية (د. غالي شكري، 1964).

القراءة الثانية: وتعني أنّ الثلاثية تُقدِّم إجابة عن سؤال ضرورة الإيمان بمبدأ إيدلوجي أو عقائدي ولا يهم بعد ذلك ما إذا كان هذا الانتماء متعلقا باليسار أم باليمين (د. علي الراعي 1964).

القراءة الثالثة: وتعني أنّ الثلاثية تُقدِّم إجابة على السؤال المتعلق بصراع الأجيال وبدورة الموت والميلاد (نبيل راغب 1967).

القراءة الرابعة: وتعني أنّ الثلاثية تُقدِّم إجابة عن السؤال الديني والأخلاقي، كما تُقدِّم انتقادا لما تدعوه السلوك السياسي المنحرف ماركسيا كان أم وفديا (د. شفيع السيد 1978).

القراءة الخامسة: وتعني أنّ الثلاثية تُقدِّم حاليا إجابة عن سؤال الدرس الأول في الحوار الديمقراطي، وتُعلِّم حسن الإنصات لمختلف الأصوات المتعارضة والحفاظ على كل القيم الإيجابية (قراءة الناقد 1996).

ومع هذه القراءات يعترف لحمداني أنّ " الثلاثية ما تزال نصوصا قابلة لقراءات أخرى ممكنة من زاوية نظرية التلقي شرط أن تعتمد على معطيات نصية، وليست على القرينة الخاصة وحدها"<sup>2</sup>.

### 4- سعيد يقطين:

قدّم الناقد المغربي سعيد يقطين عرضا لكتاب (القارئ في النص) لإمبرتو إيكو U. Eco، وهو أحد كتبه الصادرة في 1979، وترجم إلى الفرنسية في عام 1985، وفيه يتحدث عن مفهوم: " العمل المفتوح، والخصائص البنيوية المنهية للقارئ، وتطوير نظرية تأويل العمل الأدبي ذات جذور سيميوطيقية، ولسانية، وشكلانية، وكيفية تأويل القارئ للظاهرة السردية، ومفهوم القارئ النموذجي"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص: 279.

<sup>2</sup> - نفسه، ص: 279.

<sup>3</sup> - عودة ناظم، طريق التلقي والتأويل إلى الخطاب النقدي العربي، مجلة علامات، العدد 30، ص: 62.



## الفصل الأول \_\_\_\_\_ تجليات المناهج الغربية في النقد المغاربي المعاصر

وأهمية ما طرحه إيكو Eco تتمثل في هذه الجسور التي أُقيمت منذ ما بعد العام 1966، بين النص وخارج النص. وفرضية هذا السيميوطيقي الأقرب إلى روح البنيوية واللسانيات والشكلانية، أعطت زخماً لأصحاب نظرية التلقي للمضي قدماً في تعزيز نظريتهم، ولعل في إشارات إيكو Eco واقتراحاته فرصة لعقد علاقة بين القراءة والتأويل.

### 5- عبد العزيز شبيل ونظرية الأجناس الأدبية:

أصدر عبد العزيز شبيل ترجمة لكتاب (نظرية الأجناس الأدبية) (ظهرت ترجمته بالعربية عام 1994)، ويتألف الكتاب من أبحاث بأقلام: كارل فيتور، وولف ديتر ستمبل، وروبرت تشولز، وهانس روبرت ياكس H. R. Jauss، وجان ماري سشايفر.

وجزم المترجم شبيل بأنّ نتائج هذه البحوث قد وقع تجاوزها، وما يطمح إليه هو قبس روح الفكر العربي منها، وطريقة تعامله مع هذه القضية الشائكة: "إنّ غايتنا البعيدة أن تكون مثل هذه المقاربات المتنوعة، دافعاً للباحث العربي للتسلح بهذه الروح النقدية حتى ينكب على الأدب العربي ناظراً في ما خلفه الأجداد من مصطلحات ودراسات وآثار، محاولاً الوصول إلى نظرية للأجناس الأدبية في تراثنا العربي نابعة منه متجذرة فيه"<sup>1</sup>.

وتقترب غالبية هذه الأبحاث من قضية التلقي، أو هي مكتوبة بحسبان هذه القضية من بعض منظريها ودعاتها، والأبحاث هي: تاريخ الأجناس الأدبية، أدب العصور الوسطى ونظرية الأجناس، المظاهر الأجناسية للتلقي، من النص إلى الجنس: ملاحظات حول الإشكالية الأجناسية، صيغ التخيل.

### 6- محمد مفتاح والتلقي والتأويل:

أدغم محمد مفتاح في كتابه (التلقي والتأويل: مقارنة نسقية) في مسار شغل حامد أبي زيد الذي وسع النقد إلى مناهج معرفية أشمل، فوضع في الباب الأول: مبادئ التأويل واعتمادها على آليات منطقية وطبيعية، "فالآليات المنطقية هي العلائق بين القضايا والتناسب والتصنيف المقولي، والآليات الطبيعية في التشبيهات والاستعارات والكنائيات والتمثيلات"<sup>2</sup>.

وكشف في الباب الثاني عن قوانين التأويل المستقاة من العلائق الرياضية والمنطقية وقياس الشمول، ومن قوانين التأويل العربي في آن واحد. وعانين في الباب الثالث مثالات التأويل من خلال أسس إستراتيجية التمثيل ومقاصدها من خلال ضرب المثل بالسلوك الإنساني وبالسلوك الحيواني،

<sup>1</sup> - أبو هيف عبد الله، النقد الأدبي العربي الجديد في القصة والرواية والسرد، ص: 214، 215.

<sup>2</sup> - مفتاح محمد، التلقي والتأويل - مقارنة نسقية - المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط2، 2001، ص: 9.

الفصل الأول \_\_\_\_\_ تجليات المناهج الغربية في النقد المغاربي المعاصر  
وبالشجر، ومزج في الخواتم البرهان بالبيان وهيمنة هاجس الموافقات على أنهما لباب مناقشات الفكر  
المعاصر.

ويفترق منهج محمد مفتاح المعرفي وتفكيره النقدي إلى حدٍ كبير عن نظرية التلقي أو التأويل  
معتمداً على البلاغة والفلسفة (المنطق الصوري)، ليتبين له من هذا " أن كل مؤلف مؤول بكيفية  
أو أخرى، وإذا ما صح هذا فإننا نقترح درجة دنيا من التأويل وسندعوها القراءة"<sup>1</sup>.

ومدّ مفتاح مفهوم القراءة لتعزيد التأويل من خلال الكشف بالنسق (الاستعانة بعناصر  
التمثيل الثقافي)، وعلى العموم فإنّ " شغل مفتاح يلامس نظريتي التلقي والتأويل في النقد مجرد  
ملازمة، ويستغرق في النقد النصي وفق أسلوبية خاصة بهذا الباحث"<sup>2</sup>.

و من بين الذين تطرقوا للمفهوم الإنشائي للقراءة مفتاح العماري في كتابه (فعل القراءة  
والتأويل، 1996)، حوى الكتاب على مقالات التجربة الشعرية في ليبيا ولا سيما شعر فوزية شلابي  
ونقد المثقف بين الإحصاء والإقصاء و ملاحظات نظرية في الأدب الحكائي، وقراءة في أسئلة الإبداع  
وهو مراجعة لكتاب أحمد المديني وعنوانه (أسئلة الإبداع في الأدب العربي المعاصر)، ومراجعة لثلاث  
قصص تحت عنوان: مجازي (تأويل النص)، إذ لا تنطوي المقالتان على شيء من خصوصية نظريتي  
التلقي والتأويل، كأن يختم مقالته الثانية بالقول:

" هذه المرأة مهما أوغلت القراءة في تأويلها ستظل هناك دائما مناطق مجهولة في شخصيتها  
-ربما هي الشيء الذي نحبه ويخوننا- نعشقه ويتآمر ضدنا"<sup>3</sup>.

وكذلك فعل إدريس المسماري في كتابه (حدود القراءة، 1958)، إذ رأى في القراءة إنشاء نقديا  
لا يلتزم بمنهجية محددة، وقد تألف الكتاب من قسمين، قرأ في القسم الأول أعمال عبد الله القوييري  
القصص، وفي القسم الثاني آفاق الترجمة الشعرية الحديثة في ليبيا، وبالغ في الإنشاء اللغوي الشارح  
عندما مهّد لبحثه بفقرة لا تنطبق على المكتوب، وحملت عنوان (قراءة القراءة)، ثم ما لبث أن صرح  
في تمهيده بأن قراءته موجهة لإضاءة موضوع الوطن في كتابات القوييري، وهي " محاولة للقراءة والحوار  
حول هذا الكاتب وقضايا الوطن والإنسان والتاريخ في هذه البقعة من العالم"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - أبو زيد نصر حامد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط6، 2001، ص: 221.

<sup>2</sup> - أبو هيف عبد الله، نظرية التلقي في النقد الأدبي العربي الحديث، ملتقى الخطاب النقدي العربي المعاصر - قضايا واتجاهاته - المركز الجامعي  
بجندلة، 22، 23 مارس 2004، ص: 57.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص: 58.

<sup>4</sup> - نفسه، ص: 58.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ تجليات المناهج الغربية في النقد المغربي المعاصر

وسمى المسماري قراءته نقدية، وأظهر ولعه بالتلاعب اللفظي انسجاماً مع إنشائيته كما هو الحال في مقالته (أسئلة النقد.. نقد الأسئلة)، وليس ثمة مقارنة لنظرية التلقي في مثل هذا الشغل النقدي.

### 7- سمير حميد:

فدراسة الباحث سمير حميد الموسومة بـ (النص وتفاعل المتلقي في الخطاب الأدبي عند المعري)، حيث سعى فيها الناقد إلى مقارنة أعمال أبي العلاء المعري من خلال التلقي، حيث سعى إلى إضاءة نصوص المعري الشعرية من خلال تركيزه على أصناف المتلقي الثلاثة: الخبير والانفعالي والضماني، الكامنة في خطاب أبي العلاء المعري الأدبي، فالمتلقي ليس مفهوماً مجرداً ولا مصطلحاً نظرياً أملتته جمالية التلقي، بل هو محور رئيس ومقوم من مقومات العملية الإبداعية لدى الشاعر.

وهذا ما يُضفي " -حسب بعض النقاد- على دراسة الباحث سمير الجدة والطابع الأكاديمي الجديد الذي يساير فكر المعري المتجدد والأصيل"<sup>1</sup>.

هذا بالإضافة إلى دراسات كثيرة ومتنوعة في هذا المجال، نذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر:

- سعيد يقطين، القراءة والتجربة، حول التجريب في الخطاب الروائي الجديد بالمغرب، دار الثقافة، 1985.

- آيزر: "فعل القراءة-نظرية الواقع الجمالي"، (تر: أحمد المديني) في مجلة "آفاق"، (الرباط، العدد 6، 1987).  
- الحبيب شبيل، من النص إلى سلطة التأويل، (صناعة المعنى وتأويل النص: أعمال الندوة التي نظمها قسم اللغة العربية بكلية الآداب بمنوبة من 24 إلى 27 أفريل 1991)، ونُشرت سنة 1992، ص ص: 445-459.

- آيزر: "وضعية التأويل"، (ترجمة: نزهة حفو وأحمد بوحسن) في مجلة "دراسات سيميائية"، (الرباط، العدد 6، 1992).

- أحمد بوحسن، نظرية التلقي في النقد العربي الحديث- نظرية التلقي: إشكالات وتطبيقات، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1993.

- عبد الملك مرتاض، تقاليد القراءة وأصولها في الأدب العربي، حوليات جامعة وهران للبحوث الإنسانية والعلمية، جامعة وهران، جوان، 1995، ص ص: 9-38.

---

<sup>1</sup> - سمير حميد، النص وتفاعل المتلقي في الخطاب الأدبي عند المعري، منشورات اتحاد الكتاب العرب، (د ط)، 2005، ص: 9.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ تجليات المناهج الغربية في النقد المغربي المعاصر

و عقدت جامعة تونس في غضون تسع سنوات ندوتين متخصصتين للقراءة والكتابة، عُقدت الأولى تحت عنوان:<sup>1</sup>

- (القراءة والكتابة): بين (30 مارس و2 أبريل 1982، ونُشرت سنة 1988)، وكان من أبرز الأقلام التي شاركت فيها: محمد الهادي الطرابلسي، وحسين الواد، وحمادي صمود، وغيرهم.
- والثانية في جامعة تونس، كلية الآداب بمَنُوبة تحت عنوان: (صناعة المعنى وتأويل النص)، بين (24-27 أبريل 1991، ونُشرت سنة 1992)، وكان من أبرز الأقلام التي شاركت في الكتابة: شكري المبخوت، وحمادي صمود، ومحمد حماد، ومحمد عبد العظيم، ومنصور قيسومة، وأحمد الصمعي، والصادق الميساوي، ورياض المرزوقي، وغيرهم.

ولا يمكن لأي باحث أن يغفل عن كثير من الدراسات التي لا يسع المجال لذكرها في هذا الصدد، ويجمعها رابط قوي هو انطلاقها من أسس نظرية التلقي والرغبة في إحياء وتوضيح جهود القدامى وآرائهم القيمة في قضايا مثل: التلقي، والمتلقي، والتأويل وغير ذلك.

---

<sup>1</sup> - قطوس بسام، المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، مصر، ط1، 2007، ص ص: 169، 170.

### تجليات المنهج التفكيكي:

امتلات الساحة العربية بنصوص وكتابات عن "التفكيكية"، وشُغلت بها الثقافة العربية، وتكاثرت المجالات والبحوث والمقالات والكتب في نقل معالم التيارات المختلفة للتفكيكية ونصوص أعلامها، والكشف عن كتاباتها المعروفة وغير المعروفة، ونقد بعضها لبعض، وتطبيق أدواتها ومناهجها على مجالات عدة.

لقد عرفت الثقافة العربية دريدا J. Derrida، وتُرجم عدد من نصوصه وأقيمت كثير من الدراسات حوله، وشروح عليه للتعريف بفلسفته وتطبيق منهجه؛ سواء في الفلسفة، أو النقد الأدبي، أو السوسيولوجيا، وقد نهض بهذا أسماء لامعة من الباحثين، والمفكرين العرب من أقطار عربية مختلفة.

وأما عن التفكيكية في المغرب العربي فنجد إحدى المجالات أو الجمعيات تحمل "عنوان واسم (الاختلاف)، كما هو حاصل في الجزائر (رابطة كتاب الاختلاف)، أو (جمعية الشيء الآخر) ظهرت في السنوات الأخيرة بعناية، وترجم فريد الزاهي- الذي نقل بعض الكتابات عن الاختلاف - عدة حوارات لدريدا Derrida باسم (مواقع) عام 1992<sup>1</sup>.

نُقلت أعمال دريدا Derrida وسارت أفكاره في الكتابات المغاربية منذ الثمانينيات وربما قبلها، وازداد الاهتمام بها في التسعينيات، لقد واكب المفكرون الجدد فلسفة الاختلاف، وتعددت أسماء من نقلوا كتابات دريدا Derrida وكتبوا عنها، ومن عرفوا أفكاره وطبقوها، ومن استخدموا منهجه في التفكير للتعامل مع النصوص العربية، ومن واصلوا تعميق إستراتيجيته حتى البدايات الأولى للفكر العربي الإسلامي أمثال: محمد أركون، عبد الكريم الخطيبي، وعبد السلام بن عبد العالي، ومحمد نور الدين أفاية، وفتحي التريكي، وعبد الملك مرتاض...

### 1- عبد الكريم الخطيبي:

وفي دراسة الخطيبي عن (المغرب أفقا للفكر)، "يدافع عن النقد المزدوج، وعن الاختلاف الذي تصعب معالجته، ويرى أننا قد نسينا ألقباء مسألة الوجود والوجود، والهوية والاختلاف، وأن ما يلزمنا

---

\*يُعد الخطيبي من أهم مفكري الاختلاف في فكرنا المعاصر، ومن أوائل من استخدموا التفكير منهجا للتعامل مع كثير من المشكلات المطموسة والمهمشة في ثقافتنا العربية، وإن رؤيته تتسع ليس فقط لما هو خافي ومجهول وغير مطروق في فكرنا، بل تمتد هذه الرؤية لتوسّع من مفهوم الآخر الغربي لصورته وصورة الثقافات المخالفة له العربية والصينية، ورغم قلة معرفة القراء به، وندرة تناول المثقفين والكتاب المشاركة لأفكاره، إلا أن كتابات الخطيبي معروفة جدا ومدرسة من كتاب ونقاد فرنسيين ومغاربة أمثال: رولان بارت، وعبد السلام بن عبد العالي، ومحمد نور الدين أفاية.

<sup>1</sup> - بعلي حفناوي، فضاءات المقارنة الجديدة، ص ص: 319-320.

الفصل الأول \_\_\_\_\_ تجليات المناهج الغربية في النقد المغاربي المعاصر  
هو تجاوز الصورة الضيقة التي نملكها عن أنفسنا وعن الآخرين أن نخلخل بنقدٍ يقظٍ نظام المعرفة  
السائد من حيث أتى<sup>1</sup>.

إنّ تجاهل الاختلاف كما يقول الخطيبي هو الظاهرة الأكثر شمولية وغالبا ما نعاني آلامه  
المريّة، إنّ مناداة الخطيبي بفكر الاختلاف ومتابعته لدريدا Derrida لفتت انتباه عدد من الباحثين  
المغاربة إلى الكتابة عنه، وحاولوا بيان الصلات بينه وبين بعض الكتابات والنقاد الفرنسيين خاصة  
رولان بارت R. Barthes، وفيكتور سيغالين الذي أدخل بعدا مختلفا تماما للأدب الفرنسي، بل ونظرة  
جزرية إلى الذات والهوية، الإدراك، والإحساس بالآخر، "إنّ العمق الوجودي، تكسير حدود الأدب،  
الجمع بين الكتابة والسفر، كل هذه القضايا واعتبارات أخرى جذبت الخطيبي نحو نصوص فيكتور  
سيغالين، ويبدو أنّ هذا الانجذاب كما يخبرنا نور الدين أفاية لم يكن وليد الثمانينيات، بقدر ما هو  
انشغال قديم لم يتبلور فيشكل قراءة إلا فيما بعد، فمن (الذاكرة الموشومة) وسيغالين يُعْري الخطيبي<sup>2</sup>.  
وقد كتب رولان بارت R. Barthes: "إنني والخطيبي نهتم بأشياء واحدة بالصور والأدلة  
والآثار، والحروف والعلامات، وفي الوقت نفسه يعلمني الخطيبي جديدا يخلخل معرفتي لأنه يغيّر مكان  
هذه الأشكال كما أراها، يأخذني بعيدا عن ذاتي إلى أرضه هو حين أحس كأني في الطرف الأقصى  
من نفسي"<sup>3</sup>.

إنّ هذه المقدمة تُوضّح أنّ هناك ما يجمع بين بارت Barthes و الخطيبي، مثلما هناك  
من اختلافات بينهما، "فالأول ينتمي إلى ذلك الجيل من المنظرين الذين عملوا على خلخلة أسس  
الفكر الغربي، بينما الثاني وتحت تأثير هؤلاء يضع نفسه ضمن ما أطلق عليه (النقد المزدوج)، أي نقد  
الأسس الشيولوجيا للفكر العربي الإسلامي، ونقد الميتافيزيقا الغربية، والمفكر العربي يعتبر بارت  
Barthes من المفكرين الغربيين الذين يزودونه ببعض وسائل نقد الغرب من موقعه، بوصفه ناقدا  
عربيا، ونقد الأساس العربي باعتباره كاتباً ينتمي إلى العالم هنا والآن"<sup>4</sup>.

## 2- عبد السلام بن عبد العالي:

لقد تابع عبد السلام بن عبد العالي فكر الخطيبي وترجمه عن الفرنسية وكتب عنه، وناقش  
كثيرا من القضايا التي أثارها صاحب (النقد المزدوج)، وكان من أكثر الداعين إلى فلسفة الاختلاف  
حماسة وعمقا، أشار إليه من كتبوا في التفكيك والاختلاف من الباحثين العرب التالين.

<sup>1</sup> - السيد غسان، التفكيكية والنقد العربي الحديث، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، ع426، 2006، ص: 21.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص: 323.

<sup>3</sup> - نفسه، ص: 323.

<sup>4</sup> - نفسه، ص: 323.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ تجليات المناهج الغربية في النقد المغاربي المعاصر

عنى عناية كبيرة في مؤلفاته بالاختلاف والهوية والتفكيك، والتراث في الفكر العربي في المغرب، والفكر الفلسفي المعاصر و(ثقافة الأذن وثقافة العين)، حيث يتناول في كتابه الأخير عدة مقالات هامة في فكر الاختلاف: التفكيك عملية بناءة، التفكيك نقش على النصوص، قضية التفكيك، من التمييز إلى الاختلاف.

لقد حمل كتابه " (هيدغر ضد هيغل) عنوان (التراث والاختلاف)، وكتابه (دراسات في الفكر الفلسفي بالمغرب) عنوان (التراث والهوية)، وتناول كتابه (أسس الفكر الفلسفي المعاصر - مجازة الميتافيزيقا-) موضوعات: تفكيك الميتافيزيقا، والهوية والاختلاف، النموذج والنسخة، القراءة والكتابة، وإن كان ذلك في أحدث تياراتها المعاصرة، فإن القراءة التفكيكية لأعماله توضح الاختلاف بين هذه العناوين وما يرمي إليه: المؤلف/ القارئ/ التفكيكي<sup>1</sup>.

### 3- عبد الملك مرتاض:

أما عبد مرتاض الذي سبق له أن استعمل (التفكيكية) في كتبه: (ألف ليلة وليلة) 1989، و(أ-ي) 1992، و(تحليل الخطاب السردى) 1995، مثلما استعار (التشريحية) إلى جانب (التفكيكية) في كتابه (أ-ي)، قد انقلب على هذه الاختيارات الاصطلاحية الأولى، مفضلا عليها مصطلحه الجديد (التقويض) أو (نظرية التقويض)، أو (التقويضية) التي خص بها المصطلح الفرنسي: (Déconstructionnisme)، من باب أن " أصل المعنى في فلسفة دريدا تقويض يعقبه بناء على أنقاضه، على حين أن معنى التفكيك في اللغة العربية يقتضي عزل قطع جهاز أو بناء عن بعضها بعض دون إيذائها، أو إصابتها بالعطب، كتفكيك قطع محرك أو أجزاء بندقية، وهلم جرا... والخيمة في العربية تُطَنَّب إذا بُنيت، و(تُقَوَّض) إذا أسقطت أعمدتها وطويت... وقد جاء هذان المعنيان متلازمين في بيت لأبي الطيب المتنبي<sup>2</sup>.

ومنذ سنة 1995 (تاريخ أول استعمال للتقويض من قبل مرتاض)، أصبحنا نراه "يتحين أية مناسبة (تفكيكية) لتقويض هذا المصطلح، وإبراز مسوغات إحلال (التقويض) محل (التفكيك)"<sup>3</sup>.

### 4- محمد نور الدين أفاية:

انشغل الكاتب والفنان والناقد محمد نور الدين أفاية بالكتابة في موضوعات: الهوية والاختلاف، وفلسفة الحداثة، والمتخيل والمتواصل، كما اهتم كثيرا بصاحب (النقد المزدوج) ونستطيع أن نتبين

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص: 325.

<sup>2</sup> - مرتاض عبد الملك، نظرية القراءة - تأسيس للنظرية العامة للقراءة الأدبية - دار الغرب، وهران، الجزائر، (د ط)، 2003، ص: 206.

<sup>3</sup> - وغليسي يوسف، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي المعاصر، ص: 347.

ذلك من كتابه (الهوية والاختلاف والهامش).

والكتابة عند أفاية فعل وجودي إشكالي ومتعدد، لأنه يترجم افتراقا معيناً مع الذات، وارتقاء مغاير من خلال اللغة والرهانات الدلالية، إنه يبحث في الخطاب عن المَهْمَش والمُسكوت عنه، إنّ أي خطاب لا ينفلت من تداخلات الآخر فيه لأنّ استعمال اللغة أو الكلمات يفترض حضور الآخر، سواء تقدّم هذا الآخر في اتجاه الحوار أم الصراع، "إنّ علينا الاستماع جيداً إلى ما لم يُقَلّ داخل سياق الحديث عن الهوية، وهذا يتطلب أن تُنصت إلى تاريخ الميتافيزيقا لنتناول مسألة الهوية من المنظور الفلسفي، ويعين المعاني ويحدّد الحدود في الهوية والاختلاف"<sup>1</sup>.

إنّ دريدا Derrida حاضر في كتابات أفاية مثل حضور الخطيبي، وكتابات دريدا Derrida في (هوامش الفلسفة) نقرأها في متن (الهوية والاختلاف)، " في فلسفة الهوية يلغي ويمحي حضور الاختلاف في ثبات التمثيل والأصل المطلق، أما فلسفة الاختلاف ذاتها فإنها تبقى في مجال الانمحاء داخل لعبة الإحالات الرمزية، ومن هنا لا يمكن أن نغفل (الهامش) الذي يكشف عنه الاختلاف والذي علينا تفكيكه"<sup>2</sup>.

## 5- بجتي بن عودة:

ويأتي المرحوم بجتي بن عودة بتفكيكه للخطاب العربي، وبأسئلته الحارقة الخارقة لكيثونة الكتابة التي ما فتئت تساءل ذاتها والآخر، " هو ذا الذي ينبغي فهمه والقيام به، تعميمه لترنح الذات في مكان مؤسّس وعارف، مكان لن يخلد إلى الاستسلام لأبهة الخطاب والبلاغة، بل يعيد صياغة اللحظة الأكثر جذرية في تاريخ هذه الذات، وتطرح جرحها وبدائلها، حلمها في المغامرة ومغامرتها في الأسئلة والكتابة، واجترار المختلف وفي امتحان اللحظة والتاريخ والمستقبل، والآخر الغرب الموجود في مسامنا وطيات اللاوعي، إنّ الآخر المختلف يشكّل تلك القارات والترسانات من المعارف ومن الخطابات التي تمشي على ضفاف لآ وعينا"<sup>3</sup>.

بجتي بن عودة في كتابه (رنين الحداثة) مرجع أولي في سؤال الثقافة داخل مأزقها، مواجهة مع الأسئلة الحرجة لوعي ملتبس ومتكلس، كتابه (رنين الحداثة) " صوت مختلف ومتفرد، سليل عائلة مفكرين مثل: دريدا Derrida ، وفوكو Foucault ، ودولوز Deleuze ، وعبد الكبير الخطيبي، ومحمد أركون، من فلاسفة الاختلاف والتفكيك، فهذه العائلة الكونية التي تحوّلت إلى نموذج في مقاربة

<sup>1</sup> - بعلي حفناوي، فضاءات المقارنة الجديدة، ص: 325.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص: 325.

<sup>3</sup> - بجتي بن عودة، رنين الحداثة، منشورات رابطة الاختلاف، وزارة الثقافة والإعلام، الجزائر، (د ط)، 1999، ص: 21.



الثقافات والمجتمعات والفلسفات والأديان واللغات إلا دليلاً على نشاط المعرفة المضادة<sup>1</sup>.

هنا تتكشف من خلاله مطارحة الاختلاف ومساءلة الخطاب التفكيكي، وحوارية القراءة وأفقها وتوقعاتها أصناف شتى من التأويلات، وإشراقة وعي مبشّر وواعد، فبختي بن عودة يعيد تركيب الصور يفكك ويخلخل، ويصمت وينصت إلى الواقع وإلى خلجات الذات البشرية كي يفكر في انبعاث اللحظة وفيما ستكون عليه الحالة بكل أبعادها، ويكون الحوار والاختلاف، وتعرف ما معنى تفكير إيقاع جديد لنهضة الكتابة والجسد والمهّمّش والمسكوت عنه.

## 6- فتحي التريكي:

أصدر فتحي التريكي كتابه (قراءات في فلسفة التنوع)، وكتاب (فلسفة الحداثة)، "لقد تأسست حول تصور فلسفة التنوع (الاختلاف) معقولة جديدة تتحكم في تجليات الفكر، وتجعل من الحداثة جملة من القيم والتصورات تُميّز الحقبة الزمنية لوجودنا، إننا الآن لا نعيش في العالم العربي عصراً نهضوياً حقيقياً"<sup>2</sup>.

والنهضة عند التريكي تتطلب الانفتاح الحقيقي على كل الحضارات حتى يتسنى لنا تحقيق ما أسماه (جدلية العودة والتجاوز).

يقدم لنا التريكي فلسفة التنوع باعتبارها فلسفة بديلة، وفائدة هذا الفكر بالنسبة لنا يكمن في تحطيم الدعوة الغربية بكونية فلسفته وتفكيره وثقافته من ناحية، وتحرير ذاتيتنا من عبودية القهر بإقرار حرية التفكير والاعتراف الكامل بحقوق الاختلاف والتنوع من ناحية أخرى "إنّ الفلسفة ستكون خلاقة للتنوع والاختلاف"<sup>3</sup>.

يمكن القول أنّ النقاد المغاربة لم يتركوا عملاً من أعمال دريدا Derrida ، أو فوكو Foucault ، و دولوز Deleuze إلا وتعرّفوا عليه، وأعملوا فيه النظر قراءة وترجمة وتمثلاً ونقداً وتلقياً، وعلى نحوٍ مقابل نجد من يحاول تقديم دريدا Derrida وفوكو Foucault باستخدام المصطلحات العربية والإسلامية.

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص: 338.

<sup>2</sup> - بعلي حفناوي، فضاءات المقارنة الجديدة، ص: 326.

<sup>3</sup> - نفسه، ص: 327.

